أزمة التفكير

الإنسان بين جانبيه المظلم والمضيء

تأليف الدكتور

خالد محمد أحمد عطيه

ح _ خالد محمد أحمد عطيه ، ١٤٤٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

عطية، خالد محمد أحمد

أزمة التفكير : الإنسان بين جانبيه المظلم والمضيء .

خالد محمد أحمد عطيه . مكة المكرمة ، ١٤٤٠هـ .

١٤٢ ص ؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٥ . ٨٤٠٨ . ٠٢ . ٦٠٣ . ٩٧٨

١- التفكير . أ — العنوان

ديوي ١٥٣,٤٢ ١٤٤٠ /٢٣٤٨

رقم الإيداع : ١٤٤٠ /٢٣٤٨

ردمك : ٥ . ٨٤٠٨ . ٠٢ . ٦٠٣ . ٩٧٨

الطموح والتفاؤل يجعلانك تفكر بإيجابية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، سبحانه ظاهر القوى في خلقه، باطن التدبير في كونه، أشهد ألا إله إلا هو وحده لا شريك له، الأول قبل كل شيء والآخر بعد كل شيء، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه وخليله وخيرته من خلقه، لسان الحق الناطق، الصادح بالذكر الصادق، ﷺ وعلى الآل والصحب والاتباع . أما بعد :

يعتبر فكر الإنسان المحور الرئيس في حياته، به يعبر عما يداخله، ومن ثم يتواصل مع الآخرين ممن حوله، بالطريقة التي يراها هي الأجدر في التعامل، كما لو كانت بصمة تميزه عن غيره، وتخط معالم شخصيته المستقلة الإيجابية ذات المسلك المحمود، أو شخصيته السلبية ذات المسلك المذموم .

أما المسلك الإيجابي فحين يستعمل قدراته العقلية والفكرية على الوجه الصحيح في فهم الأشياء وإدراك الأمور كما ينبغي، وهذا هو الجانب المضيء منه . وأما المسلك السلبي فحين يستعملها في فهم سقيم على خلاف الفهم الصحيح، الذي كان من المفترض أن يكون عليه، وهذا هو الجانب المظلم منه .

والطاقات الفكرية في الإنسان تتفجر دوماً بداخله، ففي كل لحظة تولد أفكاراً جديدة، وهي لا تقف عن حدود العلم، بل تتعداه إلى أبعد حدود، فتارة يوصف الفكر بالنيّر السليم، وأخرى يوصم الفكر بالمتردي السقيم .

ولو نظر الإنسان للحقائق والمقاصد، معتمداً على عقله الناضج، وقلبه الصافي، لوصل إلى الحقيقة بكل وضوح، ولتبدّت له الأمور على الوجه الصحيح، لكنه متى أغفل ذلك وراح يطلق فكره متحرراً من ضوابط العقلانية، وألغى إحساسه الواعي، ضل من حيث أراد الهدى، وتاه من حيث سعى إلى الرشاد . وتلك هي أزمة التفكير .

وعموماً ! فالإنسان يحتاج دوماً إلى أن ينصت للصوت الذي يناديه من داخله، ليتعقل ويتبصر، وهو في حالة من الصفاء والوعي، ليرى الحق حقاً، والباطل باطلاً .

د . خالد محمد عطيه

مكة المكرمة . ص . ب : ٤٣٨٢

جوال : ٠٥٠٤٧٩٩٥١١

١٤٣٩/١١/١١هـ

حقيقة الإنسان :

– خلق أكثره مجهول، مليء بالأسرار، وما بدت منه إلا أقل القليل من الحقائق، ولو حاولنا تصنيف جميع تصرفاته، وكافة سلوكياته، وسائر انفعالاته، لوجدناها تندرج ضمن ثلاثة أحوال :

الأول– فيما يخص علاقته بنفسه، وهي شخصيته المستقلة، المتضمنة سائر انفعالاته .

الثاني– فيما يخص علاقته بمعبوده، وهي جملة العقائد والشرائع، المتضمنة الإيمان به، والعمل بمنهجه .

الثالث– فيما يخص علاقته بالآخرين، وهي جملة الأخلاق، المتضمنة سائر التعاملات .

– وفي هذه الأحوال الثلاثة للإنسان أحد موقفين؛ هما اللذان يحددان وضعه في الدنيا، ومن ثم مصيره في الآخرة :

١– موقف إيجابي . وهو الجانب المضيء من حياته . وهذا يتضمن ميوله للفضائل وطلبه للمعالي، وكل جانب حسن مرغوب فيه .

٢– موقف سلبي . وهو الجانب المظلم من حياته . وهذا يتضمن نزوعه نحو الرذيلة واتصافه بالنقيصة، وكل جانب سيء منبوذ .

تفكر أخي : فرق كبير بين الظلام والنور بين السلب والإيجاب

الجوانب المظلمة :

١- من شخصيته . حين تحيط بها الهواجس من كل مكان، شكوك تداخلها، وحيرة تعتريها، ووساوس لا خلاص له منها، واضطراب في الانفعالات، وضعف في المواقف، وتخبط في اتخاذ القرارات، فلا وعي ولا بصيرة، ولا منهج ظاهر تسير عليه، ولا اتزان في أي من ملكاتها، فاقدة لكل القيم الأصيلة والمبادئ الثابتة في حياتها .

٢- وفي ديانته . حين يظلم القلب، ويشوّش العقل، وتتوتر النفس، فيقع فريسة دوامات الإلحاد، أو دروب الشرك، أو طرق الانحراف، قد اختلط عليه الحق بالباطل، فلم يستطع التمييز بينهما، قد ذابت معالم الفطرة فيه، فتصدع فكره، وتاه عقله، وزاغ قلبه، وطمس على بصيرته، فحاد عن جادة الصواب في كثير من أحيانه .

٣- وفي الأخلاق . حين تضطرب سلوكياته، فيستحسن الرذيلة، وينفر من الفضيلة، يحب الشر ويكره الخير، لا يستقيم إلا على المنكر، قد امتلأ قلبه بالكبر والحقد والحسد، والضغينة والكراهية، خيره مكفوف، وشره مبثوث، وأخلاقه شرسة، وتصرفاته قذرة، وتعامله مهين، باب لكل بائقة، ومدخل لكل فتنة، لا خير منه يرتجى في أغلب أحواله، حياته عبث، ولهو ولعب، وانتهازية ومصلحة .

الجوانب المضيئة :

١- من شخصيته . حين تسمو نفسه وتزكو، ويقوّم طباعه فتستقيم، ويسعى للكمال ويطلب معالي الأمور، ويترفع عن سفاسفها ورذائلها، يحب الفضيلة ويكره الرذيلة، ويصلح باله، وتطمئن نفسه، وتستكين جوارحه، فلا تجد في كيانه شكاً أو ريبة أو حيرة أو تردداً أو ارتياباً مطلقاً، بل اتزاناً وعقلانية، ورجاحة ومفهومية .

٢- وفي ديانته . حين يرى الأمور على حقائقها، ويضعها في نصابها، فيصفو قلبه من الشبهات، وتزكو نفسه من الشهوات، ويرجح عقله من الغفلات والشطحات والانحرافات، ويحقق إيمانه بربه كما يحب سبحانه، ويزداد يقيناً بمعبوده، ويوحّده، ويصدق بوعده ووعيده، ويلتزم بمنهجه ويطبق تعاليمه، ويقتنع أن خالقه قد اختار له خيري الدنيا والآخرة .

٣- في الأخلاق . حين يسعى في كل خير ويجتنب كل شر، يحب الآخرين ولا يكرههم، يحترم ولا يحسد أو يحقد، لا يحمل ضغينة ولا غلاً على أحد، يبذل الكلمة الطيبة، ويقدم الحسنة على السيئة، يعفو ويصفح، يتواضع ويسامح، يتنازل ولا يتعالى، لا كبر ولا عُجب، هين لين سهل قريب من الناس، ينيلهم خيره ويكف عنهم شره، يسعى بينهم بالمعروف، يعينهم ويعاونهم .

الناس طبقات مختلفة في كل شؤون حياتهم

طبقات الناس :

واختلاف الناس في تلك الأمور جعلهم يتمايزون ولا ريب فصاروا طبقات شتى في محياهم ومماتهم، وهذا ما بينه ﷺ بالضبط في حديث نبوي شريف طويل جاء فيه ما نصه : (... **ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى، فمنهم من يولد مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموت مؤمناً، ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت كافراً، ومنهم من يولد مؤمنا ويحيا مؤمناً ويموت كافراً، ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت مؤمناً**)[الترمذي أحمد] . فمما يستقى منه :

١- أن الناس طبقات مختلفة، في دينهم، ومعاشهم، وخاتمتهم .

٢- للإنسان ثلاث محطات مهمة في دنياه، ولادة وحياة وموت .

٣- أن الإيمان والكفر ليسا غاية، وإنما وسيلة في هذه الدنيا .

٤- العبرة ليست بالإيمان، وإنما بالثبات عليه حتى الممات .

٥- الحذر من تقلب القلوب، فمن يدري على ماذا سيموت .

٦- الدنيا دار فتن، فمن أمن الفتنة وقع فيها، ومن خافها أمن .

٧- الخاتمة هي مربط الفرس، وبها يكون المصير المحتوم للإنسان .

وربنا جل في علاه لم يترك خلقه في دنياهم هملاً، يتيهون في دوامة الأفكار، فتتخطفهم الأهواء وتعلب بهم الهواجس، وإنما سلحهم بفطرة مطمورة بدواخلهم، يدركون بها الحقائق واضحة جلية، ويفرقون بها بين الحق والباطل، ويعرفون الخير من الشر، هذا من حيث البدء، فضلاً عن منهج السماء الحق .

المنهج الذي ارتضاه سبحانه لخلقه أفلحوا لو اعتصموا به

منهج السماء الحق :

– كانت بداية البشرية على الأرض، بنزول آدم عليه السلام من السماء مسلحاً بمنهج الله تعالى، ومن بعده توالى الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام على الناس، بالمنهج الرباني .

– وبذلك تسلسل الهدى سنين طويلة . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين**)[الحاكم] .

– حتى كانت لحظة غفلة من البشرية، عُبِد فيها غير الله سبحانه .

– ومن بعدها تفشت عبادة الآلهة، ومن ثم كان اتخاذ الأرباب .

– ومع تقادم العهد، استحدثت فكرة نفي الرب وإنكار الإله .

– ومن تلك النقطة ركن الناس إلى عقولهم السقيمة، باحثين في هذا الوجود العظيم، عمن أوجده، ولمَ، وكيف، وما العلة من ذلك !

– وما إن ركن الناس إلى عقولهم المختلفة حتى تباينت الأفكار، في تصور واجب الوجود، وهو الخالق العظيم والرب الحكيم .

– كلٌ راح يصوره كيفما شاء، ومن ثم ذهب ليخترع له طقوساً مستحسنة من عند نفسه، على أنها عبادة تليق بمعبوده .

– وبهذا صار العقل المخلوق، هو العنصر الفعال الباحث عن الخالق، والمتصور صفاته وذاته وكنهه، بل والمتكلم باسمه .

– ليضع ما شاء من أفكار على أنها مستلزمات مدركة، لا بد من التعبد بها لذلك الخالق، المتخذ من دون الله تعالى .

– وعادة البشر تأثر اللاحق بسابقه وبما قال، فالتصور الأول الذي كان مجرد فكرة مستحسنة، أضحى مع الوقت فلسفة لها منهج متبع .

– وهذه بدورها تطورت حتى صارت نظرية يدافع عنها، ويحاول ذووها واتباعها اثباتها بكل معطيات العلم الحديث، ومن كل وجه .

– وهكذا انحرفت العقول عن جادة الصواب، وصارت بدلاً من التصديق والإيمان بالخالق العظيم يقيناً، راحت تختلف في تصوره، وفي فهم مراده .

– ولم تلتفت لما جاء به الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وإلا لكانوا قد كفوهم المؤونة، ووصلوا لمبتغاهم من غير عناء ولا مشقة .

– ومن هنا رُفض الدين لدى كثير من الناس، حين اعتقدوا أن منهجه وتعاليمه قيود تحول دون الوصول إلى الحقائق وإدراك معرفتها، بحسب تصوراتهم السقيمة .

إعمال العقل في كل شيء خطأ فادح

أسباب رفض الدين :

– الأسباب الرئيسة التي دعت تلك العقول للاستنكاف عن منهج السماء، والتشكيك فيه ومن ثم رفضه، فراحت تبحث في الكون عن موجده وخالقه، وما وراء ذلك، هما أحد أمرين مهمين :

الأول– أزمنة الغفلات التي انتابت المجتمعات، وهي التي تعرف بأزمنة الفترة بين الرسالات السماوية، وهذه نتائجها قليلة .

الثاني– انحراف الاتباع عن دينهم المتبع، وهذا السبب هو الذي يكاد أن يكون أساس البلاء .

– وكأن اتباع الديانات، كما لو كانوا يتبارون فيما بينهم، أيهم على الحق، ودينه الأصدق .

– مما جعل كل منهم يحاول جاهداً تقوية جانب دينه، وإظهار عورات الأديان الأخرى قدر المستطاع .

– وبهذا صار التركيز على العورات وأخطاء معتنقي الدين، أكثر من التركيز على مدى أهمية الدين في حياة الفرد .

– وهذا بدوره جعل الحكم على الدين من خلال تصرفات الأتباع .

– وبالتالي صار خطأ الأتباع يعلق على الدين، ويحسب عليه، كما لو كانت تعاليم الدين هي الخطأ بالفعل .

– ومن هنا شكك كثيرون في أديانهم، ونفروا منها، ومن ثم ارتدوا عنها، لما رأوا عدم صدق توجه رجال الدين، فحكموا على فساده، قبل الحكم على فسادهم .

– فالذي كان على دين معين يعتقد صحته، ومن ثم لاحظ فيه التغير والتبدل، والانحراف عن منهجه الأصيل، ورأى رجال الدين يبيعون ويشترون بتعاليمه، ويعبثون بها كيفما شاؤوا، ويتخذونه باباً ومجالاً لتحقيق مصالحهم الشخصية، وتوفير منافعهم الذاتية، ويستخدمون الناس من خلاله، بل ويستعبدونهم، ويفرقونهم إلى طبقات بين رفيع ووضيع، ولم يقوموا بحق ربهم المعبود وإلههم المتبوع أدنى قيام، بل اتخذوا وعده ووعيده لهواً ولعباً، فراحوا يقسمون الجنة ويمنحونها لمن أرادوا وعنه رضوا، ويحرمونها من عليه غضبوا، حتى صار الدين سبباً رئيساً للتخلف

والرجعية، والتقوقع والاستغلال والانتهازية، وبيلاً لأكل أموال الناس بالباطل، ومجالاً لمصادرة الحريات، وتكميم الأفواه، وإغلاق العقول عن التفكير، وتحريم البوح بأبسط الأمور، والمطالبة بأيسر الحقوق، وكل من عارض قتل وأعدم وصلب، أو سجن في قبو أو جبّ حتى الممات .

– من رأى ذلك بعينه حتماً، وقاساه عيشاً، واصطلى بناره واقعاً، سيرفض الدين ولا ريب، ويجزم أنه ليس إلا خبالاً وضلالاً، وسبيلاً واضحاً للاستغفال والاستغلال، وطريقاً لكل تخلف ورجعية، وإغلاق العقل عن التفكير البصير .

– وهذا ما حصل بالضبط في واقع كثير من المجتمعات، ولا سيما الشرقية والغربية، حين رُفِض الدين، وخرج كثيرون من تحت ستاره، لما رأوا الدين سبباً رئيساً للتأخر والرجعية، بحسب تصوراتهم .

– زاد الأمر سوءاً أن ذلك الخروج زامنه انطلاقة علمية هائلة في مجال النهضة والتنمية والتطور والتكنولوجيا، والتي بدأت شرارتها بما عرف بالثورة الفرنسية التي انطلقت من عام ١٧٨٩م وحتى عام ١٧٩٩م .

– وهي ثورة اجتماعية سياسية، رفضت سيطرة رجال الدين والكنيسة والنبلاء على حياة الناس والمجتمع .

– وبهذا صار العلم العدو الأول للدين، وبالعكس، فكل متدين منغلق يجب التخلص منه .

– وكل عالم لا ينبغي له التدين حتى لا تقيده قيوده وأغلاله الثقال، فالعلم شيء والدين شيء آخر .

– من هنا قرر كثيرون رفض فكرة الدين جملة وتفصيلاً، وراحوا يبحثون عن أفكار جديدة لا قيود فيها عن حقيقة هذا الوجود، وعمن يقف وراءه، وهدفه من ذلك .

– ولهذا نجد أن أكثر الملحدين عبر التأريخ كانوا في بداية حياتهم يدينون بدين ما، فلما لمسوا عدم جدواه في واقع حياتهم انحرفوا عنه ونادى كثير منهم بالإلحاد .

أكبر مشكلة تواجه الإنسان في حياته هي : سوء الفهم

انقسام الناس :

– ونتيجة لذلك التخبط الحاصل في مسألة فهم الدين كما ينبغي، انقسم الناس إلى ثلاثة أصناف :

١– مؤمن مصدق، بوجود إله خالق عظيم .

٢– كافر ملحد، ينفي وجود إله خالق للوجود، سواء كان نفياً كلياً، أم شكك في وجوده واسترابه .

٣- مشرك بالإله، سواء أقر بوجوده لكنه أشرك معه غيره، فهو مشرك بالألوهية، أو أنه اتخذ إلهاً غير الله جل في علاه، فهو مشرك بالربوبية من حيث الأصل .

- السبب في ذلك يعود لطريقة التفكير المتعقل والمنضبط، أو الخاطئ المنحرف .

- كما يعود لمسألة إدراك قيمة الحياة، والهدف من الوجود فيها .

- فأزمة التفكير كانت هي السبب الرئيس لاختلاف الناس في أمور مصيرية، ما كان لهم أن يختلفوا فيها بتاتاً .

- وأزمة التخبط في التفكير، أدّت إلى أزمة أشد منها، وهي أزمة اليقين، والاقتناع بالقيم الأصيلة، والمفاهيم النبيلة .

- لأن مسألة فقد اليقين يؤدي إلى استخفاف المرء بالحقائق، وهذا يعني الضياع بعينه، والتيه بذاته .

الحقائق نوعان :
١- غيب يحتاج ليقين .
٢- شهادة تحتاج لتصديق .

أزمة اليقين :

- أكبر المشكلات التي تواجه الإنسان في دنياه هي فقد قيمة الحياة .

– الأمر الذي يجعله يلغي التصديق بكل ما هو غيبي .

– فلا يلتفت حينها إلى مسألة الإيمان واليقين به، ولا يعير جانبه أدنى اهتمام، فيعيش حينها حياة الفوضى، والشعور باللا قيمة فيها .

– وبالتالي يبدأ يفسر الأمور وفق أفكار لا منطقية لها، ولا منهجية فيها .

– وهذا يدفعه لئن يحشد طاقاته الفكرية، لتتحول إلى فكر مضاد لا يقتنع إلا به، ومنهج معادٍ لعامة الحقائق المعتبرة لا يطمئن إلا إليها .

– خطأ فادح قاتل، زل فيه كثيرون ولم يتبينوا حقيقة أمرهم، ولا غلط توجهاتهم .

– فاستعمال منطق العقل وحس القلب، بوجه منطلق تماماً لا قيود لها خطأ كبير .

– وإلغاء صوت الضمير الداخلي، وتغييب دلالة الحس الواعي، وطمس معالم الفطرة الدالة، جهل ذريع، ومسلك خطير .

– ولا داعي من تجاهل الحقيقة التي عليها دلائل ومؤشرات، ومن ثم البحث عنها بعشوائية لا مبررة .

– كل ذلك سببه الأول والرئيس عشوائية التفكير، منطقياً، وفلسفياً، وعلمياً، واجتماعياً .

– الأمر الذي أدى بدوره إلى التشكيك في كل شيء في هذه الدنيا .

– فتباينت مواقف الناس بين الجانبين المظلم والمضيء .

– لأن العقل إن لم يؤمن بالحقائق ويتمسك بها، غلبت عليه الوساوس ولعبت به الأهواء من كل حدب وصوب .

– والحقائق عليها أدلة، مادية ومعنوية، أما الوساوس والأهواء فمجرد أفكار منطلقة لا حدود لها ولا أدلة عليها .

– وهنا يكمن الفرق بين فكر سليم عليه دليل، وآخر سقيم لا دليل عليه .

– والفكر السليم إيجابي التوجه، أما الفكر السقيم فهو سلبي التوجه .

– وبينهما بون واسع ولا ريب، لا يكاد يخفى على أحد .

– والإنسان هو الحكم الأول على نفسه، ولو قدم المعاذير وتحجج بالمبررات .

الفصل الأول : الجانب المظلم

١ – مفاهيم التفكير السلبي .

٢ – أساليب التفكير السلبي .

٣ – أثر التفكير السلبي في اليقينيات .

٤ – أنماط المفكرين بالطريقة السلبية .

أخرج من حيز الظلام
لترى الحقائق على صورتها الحقيقية

أحسن الظن بالناس وأطلب لهم المعاذير

١ – مفاهيم التفكير السلبي

- نظرة تشاؤمية في الأمور، تأثراً بالجوانب السلبية لها .
- لا اتزان ولا اعتدال ولا انضباط، ولا عقلانية أو منطقية فيه .
- تقوقع ومحدودية، وتخوف وقصور، لا منهجية لها .
- يركز على السلبيات، ويتصور النتائج الفاسدة الفاشلة .
- يحمل الأمور ما لا تحمل، ولا يضعها في نصابها الصحيح .
- عاجز عن التفكير في المنجزات .
- لا تطوير فيه، لا تنمية، لا مبادرة، لا تطلع، لا يفتح آفاقاً .
- لا تجديد فيه، لا يعطي حلولاً، بل ينتقد دائماً .
- جامد متصلب، يقف عند حدود ضيقة لا يحاول تجاوزها .
- لا تركيز فيه، ولا عطاء له، لا يستثمر الطاقات .
- منغلق، لا يقبل وجهات النظر، لا يحلل، يقدم الأعذار دوماً .
- لا يتيح فرصاً، لا يعطي مجالاً، متحيز لا احتواء فيه .
- ينتقد ولا يقبل النقد، لا يتغير بسرعة حال الإخفاق .
- ضعيف منطو لا واعي، يرى الأمور بعكس مقاصدها، يغلب عليه الإحجام لدرجة القصور عن اتخاذ القرار في حينه .

ركز على الإيجابيات
وغض الطرف عن السلبيات

٢- أساليب التفكير السلبي

- التفكير الناقد . إنسان سلبي، يركز على الأخطاء، ويشيع بالنقائص، ويضخم العيوب .
- التفكير العشوائي . فرد همجي لا منطقي، لا قيمة لأفكاره .
- التفكير المشتت . إنسان تائه، مشوش الذهن .
- التفكير قاصر (محدود) . إنسان ضيق الأفق، قاصر الفهم .
- التفكير المنحاز . إنسان متحيز، متعصب متصلب .
- التفكير المضاد (العكسي) . إنسان مخالف، قليل الوعي .
- التفكير البدائي (الخرافي) . إنسان جاهل، تقليدي غافل .
- التفكير الجزافي (الهزيل) . إنسان سطحي طائش لا جدية فيه .
- التفكير الانتقائي . إنسان مزاجي، انتهازي الطبع .
- التفكير الضال . إنسان منحرف عن جادة الصواب .
- التفكير المضلل . إنسان مغرض، ذو توجه معين .

٣- أثر التفكير السلبي في اليقينيات

أولاً - الإلحاد :

ثانياً - الشرك :

أولاً – الإلحاد :

١– مفهومه .

٢– درجاته وأنواعه .

٣– أكبر شبهه ودواعيه .

٤– مراحله وأكبر نظرياته .

٥– الإلحاد في الميزان العقلي .

٦– الرد على الملحدين وعلى فكرة الإلحاد .

الحياء مليئة بالحقائق الخفية ومستحيل إلغاء كل شيء غير مشاهد

١- مفهوم الإلحاد

- فكرة تقوم على نفي وجود خالق للكون .
- وأنه لا حاجة للقول بضرورة وجود خالق أساساً .
- وأن الكون أزلي لا بداية له، وأبدي لا نهاية له .
- وأن الطبيعة وهبت نفسها، وأن المادة هي أصل كل شيء .
- وأن كل قواها نشأت بسيطة ثم تطورت .
- وأن تطور الأشياء كان عن إرادة تطورها .
- وهو نتيجة غالبة في الطبيعة، وليس لازمة في كل شيء .
- وأن قانون السببية لا وجود له في عالم الحقيقة .
- وإنما هي الصدفة، التي لها دور كبير في وجود الأشياء .
- وماهية حقيقة التطور هو أنه لا إرادي في أشياء كثيرة .
- أو عن طريق التحول التخلُّقي البطيء للكائنات .
- أو بسبب طفرة، رغم الفراغ الكبير بينها .
- ومع ذلك يعتبره الملحدون مفهوماً علمياً بحتاً .
- بل هو أصح الأقوال المنطقية، التي يجب التصديق بها .

- لأنه لا دافع حقيقي من الوجود .
- وأن الإنسان هو أعلى المخلوقات .
- وأنه ينحدر من سلالة القرود، حسب قول أشهر النظريات .
- ومن ثم تطور عبر الزمان وترقى إلى أن صار على ما هو عليه .
- وقد صرفت فيه الطبيعة أعظم صناعة .
- وأن التصديق بالأديان السماوية والكتب المنزلة مجرد خرافة .
- وأن الأديان بينها خلافات في تصور واجب الوجود .
- وأقوى الأقوال بوجود الكون هو أحد ثلاثة مفاهيم .
- إما القول بمذهب تعاقب الخلق، وهو عندهم لا يثبت .
- وإما بتولد الكائنات ذاتياً بفعل قوى الطبيعة، وهو فاسد .
- وإمام القول بتحول العالم العضوي تدريجياً متتابعاً بفعل قوى الطبيعة، وهذا هو المعتبر عندهم .
- هذا التحول ناموس عام يطلق على جميع الكائنات، فالولد يجب أن يختلف عن أبيه، وهذا مهمّ في تحسين صناعة الأحياء .
- وهذا بدوره يولد أربع قوى في الطبيعة .
- تنازع البقاء، وتغير الأفراد، والتناسل بالوراثة، وانتقاء الطبيعة لتلك المتغيرات، نتيجة الأفضلية، ونتيجة تنازع البقاء .
- وقد بلغ الإنسان غاية قصوى في التحسين الصناعي الطبيعي .

يختلف الناس في درجات استيعابهم

٢- درجاته وأنواعه

- الإلحاد خمسة درجات رئيسة .
- الأول . نفي وجود خالق للكون، وهذا أعلى مذهب إلحادي، قائم على النفي المطلق .
- الثاني . نفي وجود خالق، مع احتمالية وجوده إن ثبت ذلك، وهذا أمر متعلق بالتجربة، وهو مجهول خارج عن قدرتنا الفطرية للتحقق منه، فهو مذهب قائم على النفي مع احتمالية الإثبات .
- الثالث . لا دليل على وجود خالق، ولا دليل على عدم ذلك، فالأمران سيان الإثبات والنفي، ولا ضرورة من وجود إله للكون أصلاً .
- الرابع . وجود خالق من عدم ذلك، أمر خارج حدود المعرفة البشرية، قد يثبت وقد ينفى، فيُعلق الحكم حتى تتضح الصورة، فالأمر هنا قائم على الإثبات مع احتمالية النفي .
- الخامس . يؤمن بوجود خالق ما، لكنه لا يعرفه .

- الدهريون يقولون أن الله تعالى خلق الدهر، ثم تركه يصرف نفسه على نحو تلقائي .
- الطبيعيون يقولون أن الطبيعة خلقت نفسها، ثم تطورت .
- الماديون يقولون أن المادة وجودها أزلي، فلا خالق لها .
- وأنها لا تفنى ولا تستحدث من العدم، بل تتشكل عبر الزمان، وتظهر على صورة كائنات مختلفة، وتتطور تدريجياً .
- الروحانيون يقولون أن الروح هو جوهر لطيف لا خالق له، ولا فناء، بل ينتقل عبر الموت من شخص لآخر .
- الجدليون يشككون في إثبات الخالق، ويغالون في المحسوس .
- كل النظريات الإلحادية تنفي دور الدين ومهمته في حياة الفرد ولا تعترف تماماً بالأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام .
- وترى أن هذه أمور خرافية، سيطرت على العقول زمناً طويلاً .
- وهي أكبر أسباب التأخر، والتخلف لدى عالم البشر .
- فرفضتها جملة وتفصيلاً، وزعمت تعارضها للعقل .
- الذي جعلوه مدار فهم الأمور، والسبيل للوصول إلى الحقائق والمعارف والمدركات .
- وحاولت به البحث عن الحقيقة من كل وجه .
- وجعلته الحجة في الحكم على الأشياء .

- وجعلته القائد في إثبات حقائق الأمور أو نفيها .
- ولا سبيل لمعارضة العقل، والخروج عن حدود منطقه الملموس .
- الذي لا يقر الغيب ولا تؤمن به مطلقاً .
- فالمنطق هو لب العقل المادي، والتركيز عليه يعني الصواب المطلق، ومجافاته سفه وطيش، وحمق ولغط .
- أما الغيبيات فهي رجم بالظن لا حقيقة لها، ولا وجود .
- وتصور وجودها محض خيال ووهم وخرافة .
- من الخطأ تجاهل الحقائق الثابتة، والبحث عن شبه، ومن ثم محاولة إثباتها .

من الخطأ تجاهل الحقائق القائمة المعتبرة ومن ثم إعتماد آراء فردية ومحاولة إثباتها على أنها هي الحقائق

٣- أكبر شبهه ودواعيه

- أكبر شبهة إلحادية هي إلغاء النقل، واعتماد العقل فقط .
- النقل يراد به المنهج السماوي، المنزل على عموم الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام .
- لأن اعتماد العقل مدعاة لاختلاف البشر، في فهمهم للأمور، وهذا منطقي جداً .
- وبالتالي فلا سبيل للوصول إلى الحقائق المعتبرة، إلا عن طريق المنهج السماوي، وما خلت أمة من رسول يبلغ منهج ربنا سبحانه، الذي لا يختلف عليه اثنان .
- لذا كان الأصل أن دلالة النقل للاعتماد، ودلالة العقل للاعتضاد، وبالتالي فلا سبيل إلى بلوغ منتهى الحقائق اعتماداً على العقل المجرد .

- ثاني أكبر شبهة إلحادية هي التركيز على الجانب المادي البحت، وأن المادة هي كل شيء في الكون .
- وأن التصديق بوجود خالق معبود يقيد حرية الإنسان المنطلق، أمر خرافي لا منطقي، ولا دليل مادي ملموس عليه .
- ثالث أكبر شبهة هي أن وجود الإنسان أزلي لا بداية له، يتناسل ولا يزال إلى ما لا نهاية .
- رابع شبهة هي أن الكون سرمدي، أي أنه أزلي لا بداية له، وأبدي لا نهاية له، ولا دليل منطقي مادي يقول بخلاف ذلك .
- خامس شبهة هي نفي البعث للحياة الأخرى للجزاء .
- سادس شبهة هي التشكيك في الدين، وكل الغيبيات .
- كل ذلك جاء نتيجة الفراغ النفسي وفقد قيمة الحياة، والهدف من الوجود، الذي سببه الأساس أزمة عدم اليقين؛ والفكر السقيم .
- ونفي الخالق قد يكون سببه الجهل، وهذا قد ينطبق على عامة الناس الذين لا يدينون بدين معين .
- وقد يكون سببه التشكيك، وعدم الاقتناع بالأدلة المعنوية المنطقية، وهذا ينطبق على أواسط المتعلمين والمتفلسفين .
- وقد يكون سببه البحث العلمي المادي، والتحليل الموضوعي الجدلي، وأن فكرة الخالق غير منطقية ولا موضوعية .

- وهذا ينطبق على العلماء والمفكرين الذين تبنوا الفكر الإلحادي، نتيجة التركيز على الجانب الملموس في الدنيا، وإغفال المحسوس والمعنويات المنطقية .
- وتختلف طبقات الملحدين بحسب اختلاف الشبهة، التي تعلقت بها عقولهم، وتشربتها قلوبهم .
- فدواعي الإلحاد عند العامة، الانعزالية وعدم بلوغهم دعوة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، ولا سيما في المجتمعات المغلقة .
- أو الجهل بقيمة الدين، وأثره الإيجابي في حياة الإنسان، واعتقاد عدم ضرورة اعتناق دين .
- أما دواعي الإلحاد عند المثقفين، فسببه إما التشكيك، والتخبط العقلي، وإما اللاواقعية في التفكير، المتحرر من حدود العقلانية .
- في حين دواعي الإلحاد عند العلماء والمفكرين، إما رفض منهج الدين وتعاليمه، التي ترفض التطور، مما قاد إلى فكرة الإلحاد .
- وهذا يحصل في الأديان المحرفة التي حاربت العلم كما تبين .
- وإما التركيز على الجانب المادي للحياة، ورفض التصديق بالغيبيات، والجوانب المعنوية غير المشاهدة فيها، لدرجة الخروج عن حد المعقول ونطاقه الواقعي .

- أو محاولة تفسير الوجود وسببه والهدف منه، ومن وراء ذلك، باستخدام العقل المجرد لأبعد حدوده، بعيداً عن منهج الدين .
- أو العجز عن وصف الخالق، نتيجة قياس صفاته بالمخلوق، مما يؤدي إلى نفي وجوده عقلاً .
- فمحاولة إثبات وجود الخالق بدلالة العقل أمر صحيح، لكن الخطأ محاولة معرفة الخالق بدلالة العقل، وهناك فرق كبير بين الأمرين ولا ريب .
- وآخر دواعي الإلحاد التأثر بقول القائلين به، وتصديق شبههم، والاقتناع بها، ولا سيما ممن وقع في أزمة عدم اليقين، نتيجة التفكير السقيم الغوغائي .

دلائل القدرة في الكون أوضح من وها الشبه

٤- مراحله وأكبر نظرياته

- فكرة الإلحاد، التي انتشرت قديماً في مجتمعات شبه منعزلة، لم تصلها الرسالات السماوية، فتأتت لبعض أشخاص، حاولوا الوصول لواجب الوجود، وغرضه من هذه الدنيا، ومنهجه فيها . ثم تطورت الفكرة لتكون :
- فلسفة الإلحاد، وهي توجّه متبع، قال بها كثير من المفكرين والمنظرين عبر العصور . ثم تطورت الفلسفة لتكون :
- نظرية الإلحاد، بثوبه الجديد، حين تطورت الفلسفة لتكون نظرية حتمية، يحاول ذووها إثباتها علمياً، وفق منهجية البحث العلمي .
- من أشهر أفكار الإلحاد القديم فكرتا : المادية[١]، والروحانية[٢].
- من أشهر فلسفات الإلحاد : فلسفة أزلية الوجود، القائلة بأنه لا بداية للكون ولا نهاية، ولا فناء للمادة فيه، وإنما تتحول وتتشكل .

[١] المتضمنة أن المادة هي أساس الوجود .

[٢] المتضمنة أن الروح هي أساس الوجود، وأن حقيقة المادة روح مكثفة .

- فلسفة الطبيعة الوجودية، القائلة بأن الطبيعة وهبت نفسها، وأنه لا وجود لأي عوالم خفية تقف وراء الطبيعة، والمحسوس والمشاهد، لا أرواح ولا آلهة ولا أرباب .
- فلسفة البقاء للأقوى، القائلة بأن الكائنات كانت وما زالت، في صراع دائم وتنازع مستمر فيما بينها .
- فلسفة البقاء للأصلح، القائلة بأن الكائنات في تطور مطرد تلقائي، مستمر عبر الزمن .
- أشهر نظريات الإلحاد : نظرية النشوء والارتقاء، لتشارلز دارون، وهو عالم أحياء وجيولوجي بريطاني (١٨٨٢م)، كان يدين بالمسيحية أول أمره ثم تبنى الإلحاد، ونشر نظريته عام (١٨٥٩م)، في كتابه المسمى : أصل الأنواع، والتي تضمنت أن كل الكائنات تنحدر من سلالات مشتركة، تتطور نتيجة انتقاء الطبيعة لها، نتيجة عدة عوامل مختلفة .
- وأن البقاء للأقوى، وعلى ذلك قال بأن أصل الإنسان من سلالة القرود .
- نظرية المادية الجدلية، لكارل ماركس، وهو فيلسوف وعالم اجتماع ألماني (١٨٨٣م) . تضمنت نظريته القول بأزلية المادة وعدم فنائها، وأصل هذه النظرية هو الجمع بين :

- مادية جورج هيجل (١٨٣١م) وهو فيلسوف ألماني، التي تعرف بالمادية المثالية، ومضمونها أن المادة مجرد انعكاس مادي لوعي الإنسان .
- والمادية التاريخية القديمة للودفيغ فويرباخ وهو فيلسوف ألماني (١٨٧٢م)، المتضمنة القول بقدم الإنسان، وأنه يزدوج ويتأمل جوهره في الله تعالى، نتيجة شعوره بالاعتماد على القوى التلقائية في الطبيعة .
- نظرية الفوضوية الجماعية، لميخائيل باكونين، وهو فيلسوف روسي (١٨٧٦م)، المتضمنة ضرورة نبذ الدين بشدة لتحقيق التقدم والوصول إلى مستقبل أفضل .
- نظرية المادية العلمية، للودفيغ بخنر (بوشنر)، وهو فيلسوف وطبيب ألماني (١٨٩٩م)، نشر كتابه (القوة والمادة)، وقد تضمنت نظريته اندماج المادة والقوة، وأنه لا فناء لهما أبداً .

دلائل العقلانية أرجح من نخبط العشوائية

٥- الإلحاد في الميزان العقلي

- الأدلة الظاهرة على أخطاء الملحدين كثيرة جداً، كلها تعد من أسس منطق العقل السليم :
- الخطأ الأول . نفي قانون الوجود، القاضي بأن لكل مخلوق خالقاً، ولكل فعل فاعلاً، ولكل كتابة كاتباً، وهكذا، إذ من المحال أن يخلق الشيء نفسه، ومحال أيضاً أن يُخلق من غير خالق .
- الخطأ الثاني . نفي قانون السببية، القاضي بأن لكل شيء سبباً وعلة من وجوده، وإلا كانت الحياة عبثاً لا طائل من ورائها، ولا هدف ولا قيمة، ومحاولات الملحدين الحثيثة على صياغة قوانين لتسيير الحياة من أكبر الأدلة على ذلك .
- الخطأ الثالث . نفي قانون الجزاء، وهو أن لكل عمل جزاء يستحقه، ولا مساواة بين فاعل وغير فاعل، ومطيع ومعرض، وكل القوانين البشرية التي وضعها الإنسان كان ولا بد من تضمنها لقانون الجزاءات في كل جزئيات الحياة .

- الخطأ الرابع . قياس صفات الخالق بالمخلوق، مما دعا لنفيه تماماً، وهذا محال فصفات المخلوق تناسب وضعه كمخلوق ضعيف محتاج لغيره في دنياه، وصفات الخالق تناسبه كخالق عظيم غني مستغني عن كل أحد .
- الخطأ الخامس . القول بمبدأ أزلية المادة والكون والأشياء فيه، وهذا محال لأن الفناء يحيط بكل شيء من حول الإنسان، وهذا أمر مشاهد لا شك فيه مطلقاً .
- الخطأ السادس . القول بمبدأ التسلسل واللانهاية في الوجود، وهذا محال، إذ لا بد من نقطة بداية لكل شيء، ومادام قد بدأ فسينتهي حتماً .
- الخطأ السابع . القول بمبدأ الصدفة في كل شيء، وهذا محال، فنسبة حصول الصدفة لا يمكن تحققها في كل شيء، وعلى نحو محكم، وبنظام دقيق في جنبات الكون، بوجه تحار فيه العقول .
- الخطأ الثامن . القول بمبدأ الطبيعة وهبت نفسها، وهذا محال، إذ لا يمكن للشيء أن يهب نفسه بنفسه، فيوجدها من غير واجد، ومن ثم يتطور على نحو متقن مترقٍ، من غير حكمة تستدعي ذلك، أو هدف أو علة .

- الخطأ التاسع . إلغاء صوت العقل السليم، في فهم الأمور على نحو صائب، كسائر البشر الذين يعتقدون ضرورة الدين في حياتهم، فاجتماع العقول حجة، ومخالفتها شذوذ وغفلة وشطح .
- الخطأ العاشر . إلغاء صوت القلب السليم، والفطرة المطمورة في النفس البشرية، التي تدعو للتوجه للخالق العظيم، ومدى احتياجها له في كل حين .
- الخطأ الحادي عشر . إلغاء صوت الضمير والحس الصافي، الذي يشد الإنسان نحو خالق عظيم، ولا سيما حال المصائب حين يتلفت لما حوله باحثاً عمن ينجيه، أو حين يرفع رأسه إلى السماء لا شعورياً، حال الخوف والضيق والحاجة، كما لو كان يطلب العون .
- الخطأ الثاني عشر . القول بنفي الخالق، يستلزم العبثية من الوجود، الذي لا غاية منه بحسب زعمهم، وهذا محال لأن العبثية في تصرفات الإنسان مرفوضة، إذ لا بد له من منهج يسير عليه، وأهداف يسعى لتحقيقها، فكيف ننسب العبثية للخالق ونصفه بها، هذا هراء .
- الخطأ الثالث عشر . تجاهل القيم المشتركة فيما بين البشر، الثابتة في كل نفس بشرية وبنفس المعايير، كقيم الفضيلة والرذيلة، والخير والشر، الداعية للتعامل بالأخلاق الحسنة، ونبذ السلوكيات

المشينة، فهو حتماً منهج موضوع للخلق يسيرون عليه، ليحقق لهم السعادة في دنياهم متى طبقوه .

- الخطأ الرابع عشر . إلغاء (الغائية) من الوجود وفقد قيم الأشياء فيها، مما يدعو لتجاوز حدود المعقول، والتصرف خارج نطاق الأخلاق، إذ لا قيمة حينها من الالتزام بها، ولا فرق بين التعامل بالخير أو الشر، متى ألغيت الفضيلة وتساوت بالرذيلة، العقل يرفض ذلك تماماً .
- الخطأ الخامس عشر . محاولة اكتشاف سر الوجود، وتأمل ما وراء الطبيعة، وتفسير القوى الخفية، بدلالة العقل المحض، فذلك مظنة الزلل والضلال، ومن هنا تاه عامة الفلاسفة والمتأملين والملحدين، ولا سيما الماديين ممن بالغ في تقديس المادة، حتى جعلوها هي الفاعل وهي المفعول، فتخبطت كل أقوالهم وتوجهاتهم، جملة وتفصيلاً .
- الخطأ السادس عشر . التغافل والتعامي عن الحقائق المشاهدة، وعدم التفكر في هذا الخلق العجيب على هذا النحو الدقيق، والتدبر والتأمل لما يجري في الكون من مظاهر قدرة، دالة على وجود خالق عظيم مدبر حكيم لكل خلقه مصرف لشؤونهم، له منهج حق لا مرية فيه .

- الخطأ السابع عشر . تجاهل دلائل العلم الحديث الذي أثبت أموراً كثيرة دالة على وجود خالق عظيم، كوحدة تركيب الخلية في سائر الكائنات الحية وغير الحية، من ذرات وجزيئات وعناصر ومركبات وما إلى ذلك .
- والذي أثبت أن للكون بداية سميت بنظرية الانفجار العظيم، ونهاية سينهار فيها قيست بحسب أعمار الموجودات فيه، وكل ذلك وفق مؤشرات علمية ومعايير معادلات رياضية قياسية محسوبة، وبالتالي استحالة البقاء لشيء أبداً، لأن الدمار سيحل بالكون كله، وهذا ما سيكون يوم البعث والنشور، عند قيام الساعة .
- وبذلك تلاقى مدلول العلم بمنهج الدين، عبر اكتشافات علمية كثيرة، تعد من أقوى الأدلة المادية على وجود خالق عظيم، وكل هذا مما يؤيد صوت العقل ومنطقه السليم بالضبط .

قبول فكرة إنسان مكلف منتج له غاية وهدف في الحياة أولى من قبول فكرة لا تكليف ولا هدف وإنما عوغائية بحتة

٦- الرد على الملحدين وعلى فكرة الإلحاد

- منذ فجر التأريخ بعث الله تعالى الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام معشر هداية للبشرية، كلٌ منهم مؤيد بالمعجزات الدامغة التي لا تقبل الشك أو الارتياب .
- كل إنسان يفرق بين ما يعقل وما لا يعقل، فكيف يتجاهل قوانين العقلانية المطردة في كل شيء، ويفكر بعشوائية لا منطقية فيها، قائلاً بمبدأ التسلسل، وبمبدأ الأزلية، وبمبدأ الصدفة، وبمبدأ الطبيعة وهبت نفسها، وهو يعلم يقيناً أن العقل السليم لا يقر ذلك أبداً، فكل ما يجري في هذا الكون الفسيح بخلاف ذلك تماماً، فالذي يظهر على صفحته الدقة المتناهية، وإحكام الصنعة .
- لا معنى من القول بعبثية الوجود، إذ الأصل في الأشياء أن لها هدفاً ومعنى وقيمة، وصوت الضمير الداخلي يدفع الإنسان دوماً

ليتساءل عن حقيقة وجود هذا الكون، ومن وراءه، وما علة الوجود، كل تلك تساؤلات من العبث إخفاؤها، أو تجاهلها .

- لا جدوى من التشكيك في كل شيء غير ملموس أو مشاهد، فكثير من الموجودات التي من حولنا لا نراها، ورغم ذلك نصدق بها يقيناً، ونقطع بوجودها، ولا مجال للتشكيك فيها .
- وجود الخالق، أمر مدرك بالحواس والآثار والأدلة العقلية، أما معرفته بذاته فشيء آخر، وهو أمر غير مدرك في الدنيا، وهذا لا يعني بحال عدم وجوده مطلقاً .
- إرهاق العقل بالبحث عن الخالق العظيم، ومحاولة الوصول إلى معرفة كنهه وذاته وصفاته، أمر لا فائدة منه، فقد ثبت قصور العقل في تصور أشياء مخلوقة كثيرة، وعجز عن معرفة كنهها، ولم يستطع فهمها على حقيقتها، أو فك شفرتها حتى الآن، وهذا معلوم، فكيف بخالقها العظيم .
- حقيقة الإلحاد تعطيل منطق العقل السليم، والجهل بأبسط المعطيات المدركة المطمورة فيه، والتعامي عن الحقائق الواضحة، وتجاهل صوت الضمير الداخلي في الإنسان، فضلاً عن التغافل عن منهج السماء المؤيد بالمعجزات الدامغة، التي لا تقبل التكذيب أو التشكيك بحال .

ثانياً – الشرك :

١– مفهومه .

٢– أنواعه .

٣– أكبر شبهه ودواعيه .

٤– مراحل الشرك وأكبر العبادات الشركية .

٦– الشرك في الميزان العقلي .

٧– الرد على المشركين وعلى فكرة الشرك .

خطأ فادح المساواة بين ضدين

١ – مفهوم الشرك

- جعل مع الله تعالى شريكاً يعبد من دونه، في كل الأحوال، أو بعضها، كالرخاء دون الشدة، والأمن دون الخوف .
- تعظيم معبود ما، وتقديسه من دون الله سبحانه، أو معه كنظير له، وند ومثيل .
- اعتقاد نفع معبود ما، أو ضرره، أو تأثيره في الخلق، كمصرف لهم، ومدبر لشؤون حياتهم .
- صرف كل أنواع العبادة أو بعضها لغير الله عز وجل، قصداً، سواء عن علم أم عن غير علم .
- محبة غير الله جلت قدرته لدرجة الطاعة المطلقة، أو تقديم محبته على محبة الله تقدس اسمه .
- الخوف من غير الله جلت عظمته، والانقياد التام له .
- الرجاء في غير الله جل وعز، لدرجة التعلق بذاك المعبود، في كل الأحوال أو بعضها .

- التقرب إلى الله تبارك وتعالى، بعبادة غيره كوسائط، وشفعاء، ووسائل؛ بين يديه .
- تعدد الآلهة أو الأرباب، من دون الله تعالى لأي سبب كان .

الظلام درجات متفاوته

٢- درجاته وأنواعه

- شرك الربوبية، وهو اتخاذ معبود من دون الله جلت قدرته، على أنه رب مصرف للكون، مدبر لشؤون الخلق، ولا نافع ولا ضار، ولا قدرة ولا تصرف في الوجود، إلا لذلك المعبود .
- شرك التثنية، وهو أن يتخذ معبوداً مع الله جل في علاه، يعبد معه كقسيم له في الوجود، له قدرة وتصريف وتدبير .
- شرك الألوهية، وهو الاعتراف بربوبية الله عز وجل قادر مصرف مدبر لا سواه، ومن ثم اتخاذ الأنداد من دونه في جانب الألوهية، تصرف لهم كل أنواع العبادة .
- شرك الوسائط والشفعاء والوسائل، وهو الاعتراف بربوبية الله جل شأنه لا سواه، والاعتراف بألوهيته سبحانه مع اعتبار الشركاء

وسطاء يقربون إلى الله تعالى زلفى، تصرف لهم بعض أنواع العبادة، في كل الأحوال أو بعضها .

- شرك الصفات، وهو اعتقاد أن بعض صفات الله جلت عظمته يمكن أن تصرف لغيره من معبودات، كنظير له وند ومثيل، يستحق ذلك، لقدرته، أو لتأثيره في الخلق، سواء حباً له، أو خوفاً منه، أو رجاء فيه .

فرق كبير جداً بين القادر والعاجز
إذن القادر هو الأولى بالعبادة

٣- أكبر شبهه ودواعيه

- اعتقاد القدرة على التصرف في الوجود، والخلق والتدبير، مما يؤدي إلى تعظيم ذلك المعبود وتقديسه .
- اعتقاد نفع أو ضرر ذلك المعبود في الكون، مما يدعو إلى الخوف من انتقامه وغضبه وسخطه .
- اعتقاد وجوب اتخاذ معبود ما، وسيطاً وشفيعاً، يوصل إلى الله تعالى رب العالمين .

- التقليد لدين من سبق من الآباء والأجداد، إما طواعية عن اقتناع، وإما كرهاً؛ خوفاً من إظهار مخالفتهم .
- اعتقاد أن ذلك المعبود يمثل سر الحياة، ورمزها المقدس فيها، الذي لا غنى للناس عنه، وعن عبادته .
- اعتقاد ضرورة الجمع بين عبادة إله علوي قادر مدبر، وإله سفلي مادي ينوب عنه .
- اعتقاد أن روح الله تعالى تسكن الأشياء، فعبدت من دونه جل شأنه وتقدست أسماءه .
- ازدراء قدر الله تعالى الخالق العظيم المدبر الحكيم، مما دعا إلى الإشراك به، جهلاً وسفهاً .
- الغلو في الأشياء لدرجة تعظيمها وتقديسها، وجعلها أرباباً مدبرة وآلهة مؤثرة، من دون الله جلت عظمته .
- الجهل بمعنى العبادة الحقيقي، مما أدى إلى صرفها لغير الله جل جلاله .
- إشباع غريزة التدين في النفس البشرية، بمعبود لا تكاليف له، وحسب الإنسان عبادة من لا يأمره ولا ينهاه، ولا منهج له ولا تعاليم، ليلتزم بها ومن ثم يؤديها .

- فقد قيمة الدين في حياة الإنسان، وأثر ذلك في نفسه، مما أدى إلى تسوية الخالق العظيم بغيره من سائر المعبودات .
- الإلحاد مدخل للشرك بالله تعالى، شرك الربوبية، واتخاذ معبوداً من دونه، على أنه هو الفاعل القادر .
- رفض عبادة الغائب، وأن المعبود يجب أن يرى، وإلا كانت عبادة ناقصة لا روح فيها، ولا معنى لها .

المعبود يخلق ويضع المنهج ويأمر بالعبادة وليس العكس . وغير الله سبحانه لم يخلق ولا منهج له ولم يأمر بشيء

٤- مراحل الشرك وأكبر العبادات الشركية

- شرك التقرب، وهو أول صور الشرك، بدأ زمن نوح عليه السلام، حين تم تنصيب أصنام لرجال صالحين هلكوا، فعبدوا لاحقاً من دون الله سبحانه، بقصد التقرب إليه تعالى شأنه .
- شرك الألوهية، بصرف بعض أنواع العبادة جهلاً بمعناها، لغير الله عز وجل، على اختلاف الآلهة المعبودة .

- شرك الربوبية، بعبادة غير الله جل شأنه، وتعظيمه وتقديسه، وتأليهه، اعتقاداً بأنه القادر على تدبير الكون وتصريفه .
- شرك المعونة، باتخاذ معبود ما، وسيلة بين يدي الله تعالى، اعتقاداً أنه عون لإله السماء، ينوب عنه في الأرض .
- شرك التأثير، بعبادة غير الله جلت قدرته، خوفاً منه، أو اعتقاداً بنفعه أو ضرره على الخلق .
- شرك التقليد، والاتباع لمعبود ما، وإن كان العابد غير مقتنع به، تقليداً لآبائه وأجداده .
- أكبر المشركين عبر الزمان : عبدة الشمس، عبدة القمر، عبدة الماء، عبدة النار، عبدة النجوم، عبدة الجن والشياطين، عبدة الأصنام والأوثان، عبدة القبور والأضرحة، عبدة الأرواح .

فكرة الشرك لا داعي لها من حيث الأصل

٥- الشرك في الميزان العقلي

- مساواة الخالق بالمخلوق، والعابد بالمعبود، أمر لا يقبله عقل سليم مطلقاً، والفرق بينهما واضح لا مرية فيه .

- الرب هو الذي يخلق ويجعل، ولا يُخلق ولا يُجعل، والإله هو الذي يضع المنهج، ولا يوضع له .
- لكل إله منهج متبع جاء به لعابديه، يضعه لهم ليعملوا به، وليس هم الذين يضعونه بأنفسهم؛ لأنفسهم .
- العبادة منهج حق، له مغزى وأهداف ومقاصد، وليس الأمر مجرد عبث لا طائل من ورائه .
- لكل إله تعاليم وشرائع وحدود وأحكام، ولا مساواة بين من التزم بها ومن لم يلتزم بها، ولكل منها جزاء مستحق يناسبه، وفرق كبير بين الفريقين .
- لا سبب حقيقي يدعو إلى الإشراك بين خالق مقتدر قوى مدبر مصرف، ومخلوق عاجز ضعيف لا قدرة له على نفع نفسه أو دفع الضرر عنها من أي وجه، فضلاً عن نفع غيره أو ضرره .
- تعدد الآلهة واختلاف الأرباب من دون الله سبحانه، دليل على الانحراف عن جادة الصواب، وغفلة العقول عن المنطق السليم، إذ لكل قوم معبود يعظمونه بطقوس، لا يقرهم عليها أحد، ومن سواهم يراهم على خطأ مبين .
- لا معنى من عبادة من لم يأمر بذلك ولا دعا إليه، مع الانصراف عمن أمر بذلك ودعا إليه .

- للعبادة طريقة حددها الخالق العظيم على لسان أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، وهي ليست محض اجتهاد من كل إنسان يعبد كما يحب ويعتقد .
- كما أن للعبادة ثمرات طيبة، تظهر آثارها على العابد، كنفعه أو دفع الضرر عنه، أما من عَبَد غير الله جل جلاله، فماذا تحقق له يا ترى من عبادته تلك .
- الناس بين يدي الخالق العظيم سواء، بخلاف كل الأديان التي دعت إلى الشرك، وفرقت الناس إلى طبقات متمايزة في العبادة، فمنهم وضيع الشأن، ومنهم رفيع الشأن له الحظوة والمنزلة المقدمة، وهذا خطأ فالدين يدعو للمساواة بين الناس .
- منهجية العبادة التقرب إلى المعبود بطاعته، وليست انتفاعاً يتحصل عليه من العابدين، تحت أية ذريعة كانت .
- ومنهجية العبادة التزام بمراد المعبود ومقاصده التي بيّن لعابديه، وليست انتقاءً يقع على طائفة فقط، بحسب مكانتهم ومنزلتهم .
- كلما اجتهد الإنسان في عبادته، دعاه ذلك ليكون الأكثر طواعية والتزاماً وتمسكاً بالمنهج، وليس العكس .

حقيقة الشرك أمر غريب : يختار الإنسان معبوده ثم يختار العبادة التي يريد أن يعبده بها !

٦- الرد على المشركين وعلى فكرة الشرك

- كيف يتساوى خالق عظيم غني مقتدر، بمخلوق ضعيف فقير مفتقر يحتاج لغيره، غافل عمن حوله، لا يدري ما العبادة، ولم يأمر بها، فضلاً عن أن يُعبد من دون الله سبحانه .
- كيف يعبد الأعلى الأدنى، فالإنسان أعلى رتبة في الخلق، فإن عبد إنساناً مثله، فكيف يعبد مساوياً له، وإن عبد جماداً أو نباتاً أو حيواناً كان أقل منه رتبة، فما ثمة إلا الله تعالى ليُعبد .
- أين منهج من عُبد من دون الله جل شأنه، ومن جاء به، وماذا أعد لمن أطاعه ! وماذا أعد لمن عصاه !
- العبادة الحقة لا تفرق بين الناس، إلا بقدر تمسكهم بالمنهج الحق، لا استغلال فيها ولا استغفال، ولا تمصلح من أي وجه كان .
- العبادة معنى مهم في حياة الإنسان، وقيمة ذات مقاصد نبيلة، وتعاليم ذات مغزى وهدف، ومنهج حق متبع، يحقق لصاحبه قيماً

عظمى في دنياه، وليست طقوساً مجردة من المقاصد والغايات، بغرض إشباع غاية في النفس، وإرضاء غريزة التدين في الإنسان وحسب، وبالتالي فما معنى أن يعبد إنسان معبوداً ما، لا يمكن أن تتحقق فيه أدنى معاني العبادة، ما فائدة ذلك في عالم الحقيقة !

- للعبادة جزاء مستحق، ولا مساواة بين عامل وغير عامل، ومطيع وغير مطيع، ولا قيمة لعبادة ساوت بين اثنين متضادين متباعدين، ولم تفرق بينهما في الجزاء، رغم الفرق الكبير بينهما في العمل، ومنهج الله جل جلاله واضح، فمن أطاع فله الجنة ومن عصى فله النار .
- منهج العبادة يؤخذ ويعمل به، ولا دخل للعابدين في وضعه، وإلا فكيف يضع بعض العابدين منهجاً على أنه هو الحق لا سواه، فيفرقون به بين الواضع والموضوع له !
- عبادة لا يتحقق للإنسان بها أدنى نفع دنيوي أو أخروي، ليست بعبادة، وإنما عبث لا طائل من ورائه، وإن اتخذت صورة العبادة ظاهرياً .

٤ – أنماط المفكرين بالطريقة السلبية

١- المفكر العابث

٢- المفكر المغرض

٣- المفكر المأجور

٤- المفكر المتذبذب

٥- المفكر المتشدد

٦- المفكر المنسلخ من دينه (المتحلل)

٧- المفكر المنفتح : (علماني، ليبرالي)

٨- المفكر بعقلية الغرب : (استشراق، استغراب)

٩- المفكر غريب الأطوار

الحياة ليست مجالاً للعبث

١- المفكر العابث

- يستخف بالأشياء ويستهتر بقيمها، ويركز على الجانب الهزلي .
- لا يعطي الأفكار حظها من النظر والتأمل .
- لا يهتم لما ينتج عن الأفكار، من إيجابيات أو سلبيات .
- الفكرة عنده مجرد خاطرة يتسلى بها، وبالتالي لا يعير الأمور الاهتمام المطلوب .
- لا يستغل الأفكار على نحو إيجابي هادف .
- هزلي لدرجة الإفراط والتفريط المبالغ فيه .
- لا يهتم بالإنجاز والإنتاجية، بقدر ما يهتم بالسخرية .
- يتخطى حدود الأدب مع الآخرين، فربما انتقص من أقدارهم، وربما احتقر أطروحاتهم، وربما استصغر منجزاتهم، رغم ضعف أفكاره، وقلة بضاعته .
- جل إسهاماته ربما فكاهة، لو استثمرها على نحو هادف، وأحسن استغلالها كما يجب، لربما كانت شيئاً إيجابياً، له آثاره الطيبة وثمرات نافعة .

الأصل في الأمور حسن النية

٢- المفكر المغرض

- إنسان يفكر بطريقة مغرضة، للوصول إلى غاية مرسومة .
- يروج لأفكاره ويحسن أطروحاته ما أمكن ليؤثر على القناعات .
- قد ينتمي لجهة معينة توظفه لغاية، وقد يعمل لحسابه الشخصي، بتصور معين يخصه .
- ينظر إلى الأمور بطريقة تخدم الغرض الذي يسعى إليه .
- متحيز لدرجة كبيرة، متصلب لا يقبل من الآخرين إن خالفوه .
- لا معنى لاحترام وجهات النظر عنده متى حصل خلاف .
- يحكم على الأمور من خلال تصوره المغرض .
- يتلاعب بالأفكار كيفما شاء، بهدف الوصول لغايته .
- لا يحترم إلا من سار على منهجه، وأيده عليه .
- يصادم كل من عارضه، وقد يشنع عليه وبشدة .
- الأفكار عنده مجرد وسيلة، للوصول إلى ما يريد من مآرب .
- غاية مناه تحقيق مبتغاه، بأية طريقة كانت، ولو غير نزيهة أو محترمة، فقط الوصول للهدف المنشود، وبأية تكلفة .

لا قيمة ولا مكانة لمن أخضع الفكر للأجر

٣- المفكر المأجور

- إنسان سخر قلمه، وطاقاته الفكرية، لمن يدفع له .
- قد ينتمي لجهة معينة، وقد لا ينتمي .
- همه حشد الطاقة الفكرية لمن يقوم بتمويله .
- لا مبادئ محترمة عنده، سوى التمصلح والانتفاع الآني .
- ينظر للأمور بازدراء، حسبه أن يتقاضى على ما يطرحه .
- كل أفكاره وأطروحاته، تفوح منها رائحة التحيز والتعصب .
- لا احترام للفكرة عنده، ولا يهتم لصداها بين الناس .
- يتملق وينافق، ويتقلب فكره، بحسب الظروف والمواقف .
- يعتمد كثيراً على ترويج الأفكار التي تخدم مصالح من يقوم بتوظيفه لمصلحته .
- الأفكار عنده مجرد سلعة تباع، لمن يدفع أكثر .
- يحكم على الأمور، بحسب ما يمليه عليه الممول .
- غاية أمانيه إرضاء من يقومون بتمويله، وبقدر الدفع يكون الإخلاص والتفاني، في الترويج والتسويق للأفكار والأطروحات .

افهم نفسك قبل محاولة فهم الآخرين

٤- المفكر المتذبذب

- إنسان متخبط، يفكر بطريقة لا منهجية لها .
- قد ينتمي لجهة معينة، وقد لا ينتمي .
- يحب مصادمة آراء الآخرين، ليثبت للناس جودة قلمه، وجدية أفكاره، بحسب تصوره .
- في أفكاره اضطراب، فتارة يؤد الشيء وتارة يعارضه .
- مزدوج المعاير، فما راق له مدحه وما لم يرق له ذمه وتكلم فيه .
- لا يهتم لتقييم أفكاره وأطروحاته، بقدر ما يهتم لنقد أفكار الآخرين وأطروحاتهم .
- ينحاز ويتعصب لمن صفق له ومجّده وأظهر التقدير والاحترام .
- تختلط عليه الأمور، فتجعله متقلب المزاج لدرجة كبيرة .
- تتأرجح أفكاره وأطروحاته بين قيّمة، ومتوسطة، وفارغة .
- يهتم لكثرة انتاج الأفكار، ولا يهتم لجودتها وقيمتها .
- سعادته في مدح أفكاره، والثناء على أطروحاته، ولو مجاملة مغلفة، أو حتى نفاق مفضوح .

لا خير في التشدد ولو كان في الخير

٥- المفكر المتشدد

- يجعل من أفكاره محور العالم، ولا يرى سواها ذا قيمة .
- التشدد من وجهة نظره ثباتاً على المبادئ والقيم .
- لا يغير من مواقفه إلا بصعوبة شديدة، وقد لا يتغير .
- التشدد مذموم جملة وتفصيلاً، لما ينجم عنه من نتائج عكسية .
- حماسه غير متزن، مما يفسد الأمور، وقد يزيد الوضع سوءً .
- ينظر للأمور بصورة سوداوية قاتمة تجافي المنهج المعتدل السمح .
- يختزل الأقوال في قول واحد فقط، غير قابل للنقاش ولا للنظر .
- يحجم الأمور، ويفاقم المشكلات، ويضيق النظرة الواسعة المستوعبة لكل الأطراف .
- +سلبياته تفوق إيجابياته غالباً، مما جعله ينفر عن اتباع الحق .
- يتعامل بعنف وجفاء لا مبرر له، ولا سماحة فيه .
- لا يمكن أن يصل إلى قناعات الناس، واستمالة عقولهم .
- حتى في إرادة الخير يحتاج المفكر للفقه في الدين .
- الفكر المتشدد والمتحلل، كلاهما يبتعد عن الوسطية والاعتدال .

من الجهل إقامة فكر بهدم دين

٦- المفكر المنسلخ من دينه (المتحلل)

- التحلل رفض للدين، ولمنهجه وتعاليمه، بذرائع كثيرة لا مبررة من أي وجه كان .
- التحلل يعني عدم الاقتناع بتعاليم الدين الحق، وأنها قاصرة عن تلبية احتياجات الإنسان في دنياه، وأن الفكر المستورد فيه غنية تامة عما يحتاجه الإنسان في عصره الحديث .
- التحلل افتتان بالفكر الغربي، والترويج له، وإظهار محاسنه، وإن ضادت منهج الله تعالى المبثوث في كتابه الكريم وسنة نبيه ﷺ .
- عامة المتحللين من دينهم المنسلخين عنه، لم يتعرفوا على حقيقة الإسلام من مصادره الأصيلة، وإنما راحوا يقرؤون كتب أعدائه، فافتتنوا بها وروجوا لها .
- وصل الأمر ببعضهم أنه لم يطلع على كتاب واحد من كتب الإسلام المعتبرة، في حين تجده قد قرأ عشرات الكتب عن كتّاب مستشرقين ومستغربين، ومن ثم راح يهاجم الإسلام بكل نقيصة فيه بحسب زعمه، وبكل شراسة، وبلا أية منهجية علمية .

- من الغفلة النظر إلى تعاليم الإسلام على أنها ناقصة من كل وجه، مع النظر للفكر الغربي والشرقي على أنه متكامل بكل ما تعنيه الكلمة، فقط لمجرد مسايرة حركات ودعاوى الحداثة والتجديد والتطوير والتنوير .
- كثيرون من أولئك الغوغاء، حين يريدون تبييض صورة الفكر المستورد، لا يستريحون إلا حين يسوّدون صورة الفكر الإسلامي ورجالته وذويه، كما لو كان الأمر لزاماً عليهم فعل ذلك .
- وأكثر هؤلاء تأثروا بما أثير حول الإسلام من شبه وأباطيل، فراحوا يصدقونها، من غير أن يطلعوا على الردود التي عليها، من كتب علماء الإسلام ومفكريه، وهذا من جهلهم الذريع .
- عقلية المنسلخ من دينه، وصم الدين بالتخلف والرجعية، والنظر إلى تعاليمه على أنها قيود مرهقة، تحجب المرء عن التقدم والتطور .
- مسكين من فكر بطريقة غوغائية على أنها طريقة علمية بحتة، كمن حاكم الإسلام بسلوكيات اتباعه، فما خلا دين إلا وقد انحرف أتباعه عن الالتزام به على الوجه المطلوب .
- كثيرٌ يحسب على الإسلام عدداً، وفي حقيقة أمره هو عليه .
- الفكر المتحلل، وصمة على كل من قال به، بعد أن عرف الإسلام وسماحة شريعته .

التوسط في الأمور مطلوب وهذا لا يعني بحال المساومة وتقديم التنازلات بين الدين والفكر

٧- المفكر المنفتح : (علماني، ليبرالي)

- التفكير المتحرر من قيود الدين، من أكبر طرق التفكير خطورة على المجتمعات .
- الانفتاحية مبدأ خطير، يجر صاحبه إلى محاولة الخروج عن تعاليم الدين الذي يعتنقه، ظناً منه أنها قيود صارمة، مقيدة للحريات، وهذا من الجهل .
- مفهوم العَلمانية، فصل الدين من مناهج الحياة الأخرى، على أن تأثيره لا يتجاوز جانب التعبديات فقط، الحاصلة بين الإنسان ومعبوده ليس إلا .
- مفهوم اللبرالية، محاولة التوفيق بين تعاليم الدين ومستجدات العصر، من باب إمكانية تقديم تنازلات يمكن غض الطرف عنها، على أن بعض تلك التعاليم من جملة مكملات الإسلام، وليست من أصوله الأولية الرئيسة .
- من فكر بطريقة غير دينية فقد ضل وأضل، فليته سكت .

- إطلاق الفكر في محاولات تلطيفية مع الدين، بغرض تمييع تعاليمه، وإذابة مفاهيمه، والتقليل من حدتها كما يعتقد كثير من المفكرين، مسلك فاسد خطير، جر على الأمة الإسلامية ويلات وانقسامات، وفساد قيم وأخلاق ومبادئ .
- الانفتاح على العالم تسبب في ولوج مفاهيم هدامة، إلى عقر دور الإسلام، واقتناع مفكرون إسلاميون بها، فراحوا يروجون لها على أنها هي الحل البديل، عن التشدد، وعلى أنها هي الرباط الواقعي بين الإسلام وباقي الأديان الأخرى .
- الفهم الفاسد لقيم الإسلام وتعاليمه النبيلة السمحة، هي السبب في جنوح كثير من المفكرين إلى مثل تلك المفاهيم، التي أفسدت أكثر مما أصلحت .
- أكبر بوابات الفتن التي فتحت على الأمة الإسلامية، هي حركات النداء بالتحرر، ودعاوى التنمية، والتقدم والتطور .
- أغلب الذين تحدثوا عن تلك الحركات والدعاوى، لم يفهموا حقيقة تعاليم الإسلام، فزلت أقدامهم، وإن كان بعضهم قد ذهب إلى ما ذهب إليه بحسن نية وطيب مقصد، لكن الأسلوب والطريقة خطأ ولا ريب، لأن الغاية لا تبرر الوسيلة في الدين أبداً .

- أولئك المنفتحون لو أنهم ألموا بتعاليم الشرع القويم من منابعه الأصيلة، وحرصوا على تعلمها بالفعل، لعرفوا كيف يوظفون أطروحاتهم وطاقاتهم الفكرية في صيانة فكر الأمة الأصيل، بدلاً من التخوض فيه .
- عقدة المنفتح، اعتقاد جمود بعض تعاليم الدين، وعدم قدرتها على مسايرة مقتضى الحال، وقصورها عن تلبية حاجيات الأوان، وهذا من الغفلة والجهالة والضلالة .

افهم دينك قبل فهم المجتمع

٨- المفكر بعقلية الغرب : (استشراق، استغراب)

- كثير من مثقفي الغرب ومفكريهم يعيشون بيننا، ومن سلوكيات المسلمين يحكمون على الإسلام .
- فينغر كثير من أبناء المسلمين بتلك الدعاوى الفارغة، ولا يتبين أنهم من ألسنة الغرب .
- وكثيرون من أبنائنا عاش في بلاد الغرب، ثم جاء يحمل روح فكرهم؛ فارغ المحتوى .
- وكثيرون قاس واقع بلاد الإسلام بغيره، فحكم على المسلمين بالرجعية والتخلف، وشهد للغرب بالتطور والحضارة .
- نظر للماديات التي تفوقوا فيها بعض الشيء، ولم ينظر للمعنويات المفقودة عندهم بأبسط قيمها .
- نظر للحريات، ولمن يتبيّن أين تقف تلك الحريات، التي تجاوزت الفرد ليتعدى على غيره بالقتل، فيحميه القانون من أن يقتل، بحجة المحافظة على الطاقات، وتجاهلوا تماماً حقوق الميت .

- نظر للتقدم العلمي، ولم يتبيّن إلى أين قادهم ذلك التقدم، من ماديات مفرطة، لدرجة الكفر والإلحاد والانتحار، والخروج عن إطار القيم والمبادئ والأخلاق، العلمية والمهنية .
- نظر للمساواة بين الجنسين، ولم يتبيّن ماذا جنى الغرب بذلك، وأين وصلت معدلات الجرائم، والاعتداءات الجنسية عندهم، جراء الاختلاط، وممارسات الرذيلة التي يحميها القانون هناك .
- نظر للعدالة الاجتماعية في حياتهم، ولم يتبيّن أن من أقام حقوق الحيوان وصدح بذلك، تعدى على بني جنسه من البشر، مادياً ومعنوياً، معتبراً نفسه الرأس ومن سواه الذنب، فاحتلّ وقتل وسفك ودمر، وصادر الممتلكات واستبد بالثروات والمقدرات .
- نظر لحرية الكلمة، ولم يتبيّن إلى أين ساقهم ذلك الأمر، من إلغاء لقيم الدين والتعامل به، ومن فقد للقيم والمبادئ، فغرقوا في الخمور والمخدرات والجنس والدعارة، فانتشرت الفوضى والداءات الاجتماعية، وارتفعت معدلات الجريمة بشتى صورها، لدرجة مهولة تنذر بالخطر .
- نظر لتساوي الحقوق بحسب تصوره، ولم يتبيّن إلى كم المكوس المفروضة في مجتمعاتهم، وإلى الانتهازية، والاستغلال، والاستحواذ القائم .

- الفكر الغربي بوجه عام عبارة عن ممارسات فوضوية، يحميها القانون تحت شعارات الحرية .
- الفكر الغربي إجمالاً حوى محاسن معدودة، صورت في المحافل على أنها تعاليم مطلقة، ولو كان كذلك لما رأينا انتشار الجرائم بينهم لدرجة مخيفة، رغم أنهم أفضل كثيراً من دول الإسلام، من حيث أجهزة الشُرَط، والاستخبار، والتحريات، والتتبع، وضبط الأمن .

طور نفسك لتقف على رصيف ثابت ومن ثم افهم الحياة على حقيقتها

٩- المفكر غريب الأطوار

- خيالي لا واقعي، ولا منطقية في جل أفكاره وأطروحاته .
- يتأثر بالشواذ والشوارد، ولا يفكر بطريقة مباشرة .
- يركز على الأفكار المتطرفة والمنحرفة، البعيدة عن المنطق .
- يهتم بالتفاصيل الغامضة، أكثر مما سواها .
- تحليله في فهم الأمور، يختلف عن المسار الطبيعي المعتاد .
- قد تستهويه الأفكار الشيطانية، والمنحرفة، والمتطرفة، والغريبة، والأساطير، لدرجة تأثره بها، ومن ثم العمل بموجبها إلى حد كبير .
- يحب غرائب الأمور وعجائبها، ويبحث عنها، ويصدقها .
- يرى الناس أدنى منه وأنهم هم الأسوء، وأنهم دائماً دون درجة الفهم والوعي بالنسبة له .
- السمة الظاهرة لشخصيته الغموض والاضطراب وعدم التوازن، ربما لحد الارتياب في الناس، أو حتى الشك في كل من حوله .
- يعتقد نفسه الفاهم المدرك، رغم جهله ربما بأبسط الأمور .

الفصل الثاني : الجانب المضيء

١ – مفاهيم التفكير الإيجابي .

٢ – أساليب التفكير الإيجابي .

٣ – أثر التفكير الإيجابي في اليقينيات .

٤ – أنماط المفكرين بالطريقة الإيجابية .

الفكر النيّر ! ضياء وبناء وعطاء ونماء

رائع جداً التفكير على نحو مفيد

١- مفاهيم التفكير الإيجابي

- النظر إلى الأمور بتفاؤل، والتركيز على الجوانب الحسنة منها .
- يهتم بالإيجابيات، ويتصور نتائج طيبة ومثمرة .
- يضع الأمور في نصابها الصحيح، ولا يحملها ما لا تحتمل .
- يسعى لتحقيق منجزات مرضية .
- يطور، ينمي، يحفز، يبادر، يتطلع، يفتح آفاقاً وأبواباً .
- يعطي أفكاراً جديدة، يوجد حلولاً محتملة .
- لا جمود فيه، ولا تصلب، ولا يقف عند حدود معينة .
- متجدد العطاء، يحسن استثمار الطاقات والقدرات .
- منفتح، يقبل وجهات النظر، يحلل، يحتمل، يتحمل .
- يتيح فرصاً، يعطي مجالاً، يحتوي الآخرين .
- قابل للنقد، وللتطوير والتجديد، وله القدرة على التغير السريع حال الإخفاق .
- متوازن، معتدل، منضبط، منطقي، عقلاني .
- عملي، جاد، دقيق، مركّز، رشيد .

- يتحين السوانح، ويحسن استغلالها .
- فكر متكامل واعي، يدرك مقاصد الأمور، يهدف إلى تحقيق كافة المصالح والمنافع، مستغلاً الوقت المناسب لذلك .

تباين الأفكار الإيجابية من أدوات بناء المجتمعات ورقي الحضارات

٢- أساليب التفكير الإيجابي

- التفكير المثالي . إنسان راقي، يهتم بالقيم، ويسعى للكمال .
- التفكير الشامل . إنسان بعيد النظرة، يتجاوز المحدود .
- التفكير الناضج . إنسان واعٍ، واسع الأفق .
- التفكير المنطقي . إنسان واقعي، دقيق المعايير .
- التفكير الإبداعي . إنسان مبدع، يتجاوز القيود .
- التفكير التطويري . إنسان مطور، له قدرة على التجديد .
- التفكير التحليلي . إنسان دقيق، يتتبع الخطوات .

- التفكير التصوري . إنسان خيالي، حر التفكير .
- التفكير الاستقرائي التتبعي . إنسان توقعي حدْسي، يستبق الأحداث قبل وقوعها .
- التفكير الاستدلالي . إنسان علمي منهجي، يعتمد على الحقائق والنتائج .
- التفكير المركز . إنسان جاد، يعتني بالأشياء ومضامينها .
- التفكير المرن . إنسان إثرائي، له قدرة على التنويع .
- التفكير الابتكاري . إنسان مبتكر، له قدرة على الإنتاج .

٣ – أثر التفكير الإيجابي في اليقينيات

– الإيمان :

١– مفهومه .

٢– درجاته وأنواعه .

٣– دواعيه .

٤– منهجية الإيمان .

٥– حيثيات الإيمان .

٦– أكبر الشبه حول حقيقة الإيمان .

٧– قوادح الإيمان .

حياة بلا إيمان جهد مضني وشقاء لا منتهي

١- مفهوم الإيمان

- التصديق بالغيبيات التي لا نراها، وأنها موجودة في عالم الحقيقة بكل تأكيد، بوجه غير قابل للشك .
- اليقين بوجود الله جل جلاله، وبكل ما أخبر به سبحانه من اليقينيات التي جاء بها رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام .
- القطع بوجود واجب الوجود، الخالق العظيم، والرب الحكيم، وبما جاء به من منهج حق، يحقق السعادة للبشرية .
- معرفة أن الوجود له علة وسبب، وغاية وهدف، ومصرف ومدبر، تجلت قدرته في كل شيء، ظاهراً وباطناً .
- الإنصات لصوت الضمير داخل الإنسان، وتلمس مضمون الحس الصافي فيه، وإدراك شعور القلب، والوقوف على مناطات العقل البشري، كل تلك أدوات ومدركات البصيرة، ليقف الإنسان بها على الغايات العظمى من هذا الوجود .

- دلائل المنطق السليم، تدعو للتفكر والتدبر والتأمل والتبصر في هذا الوجود، ومن يقف وراءه، وما الهدف المنشود له من ذلك ! .
- تفهم حقيقة الدور الذي من أجله وجد الإنسان في هذا الكون الفسيح، ومن ثم العمل بمقتضى ذلك .
- انسجام الملكات النفسية مع منهجية الوجود، التي جاءت آمرة بكل قيم الفضيلة والخير، ناهية عن كافة مآخذ الرذيلة والشر، جملة وتفصيلاً .
- الوعي التام الذي يرتكز على دلائل ومظاهر مادية ومعنوية، يوصد بها الباب عن كل شك وريبة، وحيرة وتوهان .
- انقياد الإنسان لمن يستحق الانقياد له، وحمايته من الانقياد لمن لا يستحق ذلك .
- تحرر العقل من التبعية لغوغائية متشعبة، كلٌ يراها من وجهة نظره حقيقة، في حين يراها الآخرون فاسدة من كل وجه .
- الالتزام بتعاليم فاضلة وقيم صادقة ومبادئ محترمة، لها حضور تكويني داخل الإنسان، داعية للأخلاق الفاضلة، التي يجدها كل إنسان في قرارة نفسه، بلا شك أو ارتياب .
- تحقق الطمأنينة، والسكينة، وراحة البال، لمنهج السماء، المتوافق مع رغبات الماديات، والمنسجم مع تطلع المعنويات .

إيمان المرء على قدر فهمه للحياة

٢- درجاته وأنواعه

- الأول . الإيمان الكامل، وهو الوصول إلى درجة اليقين التام، الجامع بين التصديق والانقياد، فلا شك فيه ولا ارتياب، وهؤلاء هم الأولياء المقربون .
- الثاني . الإيمان التام، وهو اليقين الصادق الذي لا شك فيه، لكنه لم يحقق الانقياد التام مع التصديق، وهؤلاء هم عامة الصالحون، الذين يتذبذبون في الطاعات .
- الثالث . الإيمان الناقص، الذي لم يصل إلى درجة اليقين التام القطعي، لكنه حقق انقياداً صادقاً، وهؤلاء هم عامة المسلمون، الذين تارة يرضون عن القدر، وتارة يجزعون ويتسخطون .
- الرابع . الإيمان الحيران، الذي لم يصل إلى درجة اليقين، ولم يحو انقياداً صادقاً خالصاً، وهؤلاء هم المرتابون في أمر دينهم، المتشككون في ربهم وخالقهم .
- الخامس . الإيمان الظاهري، الذي ليس له عقيدة صادقة تحميه، ولا إخلاص يقيه، وإنما تكذيب واعتراض وتسخط، وهؤلاء هم أهل الردة والنفاق الأكبر .

جذور الإيمان في كل نفس بشرية

٣- دواعي الإيمان

- نزعة التدين مطبوعة داخل كل شخص، لا قدرة له على طمسها مهما حاول، ومهما ابتعد عنها وجافاها، دالة على احتياجه لدين ينطوي واقعاً تحت منهجه، وتعاليمه .
- تكوين الإنسان يدفعه دفعاً إلى الخضوع لمن هو أقوى منه، والجماد والنبات والحيوان دونه رتبة، وغيره من البشر مساويه درجة، وكل إنسان يستنكف الخضوع لمثيله ويأبى ذلك، فما ثمة إلا خالق عظيم يخضع له الجميع، يأخذون عنه منهجه، ويطبقون تعاليمه .
- صوت الدين هو الأعلى المسموع لدى البشر، وتعاليمه هي العاصمة من كل ضرر، القاصمة لكل متجاوز للحدود، الآمرة بكل فضيلة، الناهية عن كل رذيلة، المحققة لعموم الخير، المانعة من كل شر، وفي كل نفس بشرية مفهوم الأخلاق الحميدة والسلوك القويم .
- لولا منهج الدين لتعدى كل فرد على الآخرين بلا غضاضة، إذ لا حافز له حينها يحفزه للخير من دونه، ولا موجهاً يوجهه للفضيلة، ولا رادعاً يردعه عن الشر، ولا مانعاً يمنعه من الرذيلة .

- الحياة من غير إيمان فراغ وعبث وغوغائية، فلا هدف يسير إليه الإنسان، ولا قيمة يسعى لتحقيقها، وحينها ستتحول إلى جهد مرهق، وعمل مضني لا طائل من ورائه، يدعو للاستخفاف بكل شيء فيها، وهذا بدوره يؤدي إلى انهيار القيم والمبادئ، إذ لا غايات مرجوة ذات قيمة يسعى إليها الإنسان في حياته .
- تناغم الوجود يتحقق بالإيمان، أما القول بالإلحاد فيعارض مناطات العقل ومعالم الفطرة السوية، وأما القول بالشرك فمغالطة كبرى إذ لا مساواة بين خالق ومخلوق . فكلاهما خطأ واضح .
- كل ما دعا إليه الإيمان في جانب الأخلاق والتعاملات فيما بين البشر، تقبله النفس البشرية جملة وتفصيلاً، لانسجامها معه، في حين جميع تصورات الملحدين والمشركين وأقوالهم، خلل وزلل وتعارض وأخطاء، مردودة حتى على لسان البشر أنفسهم، فما من فلسفة أو نظرية إلحادية أو شركية، إلا ولها معارضون كُثُر رفضوها وعارضوها بشدة، وتكلموا في عوراتها وثغراتها، وإذا كان كل منظّر من البشر سيجد له معارضون، فمن يا ترى سيسلم من ذلك، وحينها فمن هو الجدير بالإيمان به ! سوى الخالق العظيم .
- أكبر دواعي الإيمان، الاعتراف بالمنعم الأعلى جل في علاه، وما أولاه على الناس من خيرات وطيبات ينعمون بها في دنياهم .

الإيمان نبع صافي يفيض بكل خير

٤ – منهجية الإيمان

- الإيمان حياة للقلوب، على خير منهج وضع لها .
- الإيمان يقوّم السلوك، ويدعو إلى مكارم الأخلاق .
- الإيمان يأمر بكل خير، وينهى عن كل شر .
- الإيمان يحث على الفضائل، ويحذر من الرذائل .
- الإيمان يحقق الأخوة بين الجميع، ويمنع الجريمة عن الكل .
- الإيمان سمو للروح، وسلامة للجسد، وراحة للبال .
- الإيمان صفاء للعقل، وطهارة للقلب، ونقاء للنفس .
- الإيمان طمأنينة، وسكينة، ورحمة، وأمن وأمان، واستقرار .
- الإيمان مساواة، واحترام، ومحبة، وتعاون، وتكافل .
- الإيمان فوز وفلاح، وثمرة ونجاح .
- الإيمان توجه للخالق العظيم المستحق للعبادة، وتوحيده وحده، وعبادة الرب الكريم، والإله الحكيم .
- الإيمان يحقق توافق الإنسان مع كل ما حوله، من خلائق وكائنات، في هذا الوجود .
- الإيمان انقياد لمن أمر، وليس بحثاً عمن غفل ومن لم يأمر .

الطمأنينة واليقين ركيزتا الإيمان

٥- حيثيات الإيمان[٣]

- الأصل في جانب الإيمان أن الله تعالى بيّنه، برسالات سماوية ونبوات ربانية، متوالية على الخلق .
- فمنذ أن وجد البشر والمد السماوي بالرسالات متواصل للخلق، حتى لا يتشتتوا في جانب الإيمان، فالأصل فيه البيان لدرجة اليقين .
- أما دلالة العقل، ومعالم الفطرة السليمة، على وجود الخالق، فهي مجرد مكملات معنوية للإنسان على معرفة مراد ربه منه .
- لأنها أدلة غير كافية لمعرفة المقاصد الشرعية، التي بينها معشر الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام .
- وبالتالي فالاعتماد على العقل المجرد، مع إغفال جانب التواتر عن طريق الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، أمر غير مقبول من كل وجه، لأن العقل المحض قاصر عن إدراك الغايات والمقاصد .
- فدلالة ما جاء به رسل الله تعالى من منهج سماوي، الأصل فيه الاعتماد، أما دلالة العقل فالاعتضاد فقط، ولو ترك إدراك الغايات والمقاصد للعقل البشري المجرد، لاختلف الناس في فهمها .

---

[٣] الحيثيات هي : الاعتبارات التي يبنى عليها الشيء .

- وبالتالي كان ولا بد للبشر من تلقينهم، وتلقيهم ذلك المنهج السماوي، كما جاء عن ربنا جل في علاه، عن طريق الوحي .
- وبهذا يتحقق في الإيمان اليقين القطعي الذي لا يخالطه شك أو ارتياب، فقبل أن يدرك بالعقل، جاء على ألسنة أنبياء ورسل من الله جل جلاله، مؤيدين بالوحي من السماء، وبمعجزات كبرى خارقة للعادة، غير قابلة للتشكيك مطلقاً، وكان القرآن الكريم الذي نزل على خاتمهم ﷺ؛ هو المعجزة الكبرى الخالدة على مر الزمان .
- فرغم اختلاف الشرائع الربانية، إلا أن دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام واحدة، فجميعهم من عند الله تعالى، داعين إلى توحيده جل شأنه، وإلى تطبيق منهجه وإقامة شرعه .
- وبهذا جاء الإيمان من جانبين اثنين : عن طريق النقل بواسطة الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام، وعن طريق العقل المدرك للحقائق المعتبرة، المصدق لتلك المعجزات، والموقن بأنها من عند رب عظيم، وإله حكيم .
- وعليه فلا مجال للتفكير خارج هذين النطاقين، تكذيباً لمنهج معشر الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وإنكاراً لدلالة العقل السليم المدرك للحقائق، لأن التقول خارج هذين المصدرين، شطح ولغط ولغو، لا قيمة له في عالم الحقيقة .

الشك والهواجس والوساوس
وسائل لتقوية الإيمان وأدلة على صحته

٦- أكبر الشبه حول حقيقة الإيمان

- الشبهة الأولى . القول بنفي وجود الخالق، مع أن قبول فكرة وجود خالق عظيم للوجود، ينقاد الخلق له ويطبقون منهجه ليحقق لهم السعادة، أولى من قبول فكرة عدم وجود خالق، وأن الكون يسير تلقائياً كيفما اتفق، كما لو كان عبثاً لا طائل من ورائه .
- الثانية . القول بنفي الغاية في الوجود، مع أن الثابت في عالم الواقع أن في الإنسان جملة من المفاهيم والقيم والمبادئ، يجد نفسه ملزماً بها، ومحترماً إياها لما تحققه من انسجام وطمأنينة وسكينة، ولا طاقة له للخروج عن نطاقها، وهو مع ذلك لا يدري من الذي جبله عليها، وتلك دالة على أنه مخلوق وفق منهج من خلقه، وله من تلك الخلقة هدف وغاية في دنياه .
- الثالثة . القول بعدم جدوى الإيمان في حياة الإنسان، في حين أن كل نفس بشرية جبلت على نزوعات لا قدرة لها على إخفائها،

أقواها نزوع الخضوع، وهذا ما جعل البشر يهرعون لصياغة قوانين وأنظمة، تسيّرهم وتنظم حياتهم المعيشية، لحاجتهم الماسة لذلك، وصوت الدين هو الأقوى في كل مجتمع، والأعلى في كل نفس بشرية، لا نزاع في ذلك .

- القول بنفي التصديق بالغيبيات، مع أن كثيراً من الأشياء في الكون غيب، وهي رغم ذلك موجودة قطعاً، كالكهرباء التي تسري في الكابل، لا أحد يستطيع إنكارها، رغم العجز التام عن وصفها .
- القول بنفي قانون الجزاء والحساب والعقاب، ونفي الجنة والنار، مع أن الإنسان نفسه لما بدأ يقنن لحياته وينظمها، لم يستطع العيش من غير قانون جزاءات، ليفرق به بين منضبط وغير منضبط، ملتزم وغير ملتزم، فكيف ينفي ذلك عن الخالق العظيم، ويضع لنفسه ما يعتقده أنه أمر حتمي، ولا بد له منه .
- القول بأن محمداً ﷺ قد افترى هذا القرآن الكريم، فإذا كان قد أتى به وحده، والمعروف عنه من سيرته قطعاً أنه لا يقرأ ولا يكتب، فكيف عجز العالم كله ولم يستطع على كثرة مثقفيه، وذكاءاتهم المتعددة، وهم فوق الحصر طيلة الزمان، أن يأتوا بآية واحدة من مثل هذا القرآن الكريم، إذن هو فوق مستوى البشرية بكل حال .

- القول بتناقض القرآن الكريم، مع عجز البشر التام على أن يأتوا بجملة واحدة بمثل نسقه، إعجازاً وسياقاً، وسبكاً وحبكاً، ودقة تعبيرية، وصياغة لغوية، إن استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، أو ليوجدوا فيه خطأً أو خللاً، لغوياً، أو لفظياً، أو نحوياً، أو تعبيرياً، أو تأريخياً، أو علمياً، أو منهجياً، أو من أي نوع كان .
- القول بعدم نبوة محمد ﷺ، رغم ثبوت نبوته في كل الكتب السماوية، فإن كان ذلك حقاً، فلا أقل من اعتباره رجلاً مصلحاً أو فيلسوفاً فذاً، مع أن ما جاء به من قرآن كريم يفوق كل فلسفة موضوعة ونظرية مطروحة، فلماذا قُبلت كافة فلسفات الدنيا، رغم ركاكتها واضطرابها وتناقضها غير المنسجم ولا المتكامل، ويرفض ما جاء به محمد ﷺ وهو كالشمس المشرقة، وقد تحدى به العرب والعجم، وعلى مر مئات السنين لم يستطع أحد الافتئات عليه، من أي وجه كان .
- القدح في شخصية محمد ﷺ، رغم أن كل تفاصيل حياته بكامل جزئياتها الدقيقة، مكشوفة كصفحة مفتوحة للقارئين، في حين أنه ما من فيلسوف أو عالم أو مفكر، إلا وتجد جانباً من حياته غامضاً لا يحب الكشف عنه، حتى لا يقدح في سيرته .

ترسيخ الإيمان يكون بمضامينه وليس بفكر فردي واجتهاد شخصي

٧- قوادح الإيمان

- الإيمان عقيدة، يجب عدم الالتفات إلى ما ورائها، وإلا زلت قدم الإنسان، بكثرة الأفكار التي قد تقوده إلى الوساوس والحيرة والشكوك غير المنتهية، والتي قد تفضي بصاحبها إلى الكفر أو الإلحاد، والعياذ بالله تعالى .
- الغلو في الدين يقود إلى تشدد مقيت مذموم، يولد إيماناً مضطرباً، لا اتزان فيه ولا اعتدال .
- اعتقاد أن الإيمان غاية، من وصل إليها لم يزغ عنها، وهو في الحقيقة وسيلة، فكم من مؤمن انحرف، بعد أن كان من أقوى الناس إيماناً، وكم من ملحد أو مشرك أنار الله سبحانه قلبه للإيمان .
- اعتقاد الإنسان أنه الوصي على الدين، وأنه الأولى به، لدرجة الافتتان، ووصفها بالإيمان الكامل المعتدل، في حين وصم الآخرين بالنقص فيه والانحراف عنه .
- الإيمان عقيدة تحقق الطمأنينة والسكينة، لا الحيرة والتردد .

- التساهل في تقوية جوانب الإيمان، المفضي إلى التفريط في صدق الاتباع وصحته، فالإيمان يزيد وينقص، فإن لم يتعهد المرء زيادته بالطاعات، نقص بالتفريط وكثرة المباحات .
- الإيمان الصادق، اتباع تام للمنهج الحق، وتطبيق تعاليمه، وليس اجتهاداً محضاً، يقود إلى الابتداع .
- الإيمان وعي وبصيرة، به تدرك مقاصد الأمور، وليس انغلاقاً يحجب عن رؤية الحقائق .
- الإيمان الحق، طريق يقرب إلى الله جل في علاه، وليس سبيلاً يبعد عنه .
- الإيمان عقيدة في القلب، يصدقها القول والفعل، وإلا كان إيماناً كاذباً لا قيمة له .
- المؤمن الحق، يقوده إيمانه إلى حيث الرضوان، وليس الإنسان هو الذي يقود إيمانه إلى حيث يريد .
- الإيمان يتعامل مع المبادئ والقيم، ليكون الفرد ثابتاً على الحق لا يتزحزح عنه، وليس تعاملاً مع المواقف والحوادث تجعله يتغير معها حيث تغيرت .
- الإيمان بمفهومه العام تصديق ويقين وسلوك قويم، ظاهراً وباطناً، وليس زعماً فارغاً، وظهوراً مجمّلاً، رياءً وسمعة .

٤ – أنماط المفكرين بالطريقة الإيجابية

١– المفكر الحر

٢– المفكر المنتمي

٣– المفكر الإسلامي المعتدل

٤– المفكر المتعقل

٥– المفكر المتطلع

فرق كبير بين الحرية والفوضوية

١- المفكر الحر

- إنسان يفكر بحرية تامة، لا قيود عليه .
- لا ينتمي لأية جهة تملي عليه طريقة التفكير .
- ينظر إلى الأمور بحسب مدركات عقله، بلا أي ضغوط .
- لا يتحيز ولا يتعصب، ولا يميل لشيء تمصلحاً .
- يستقرئ الأحداث والمواقف، ومن ثم يدلي بدلوه .
- يحاول إيجاد الحلول، بأفكاره وأطروحاته .
- يحكم على الأمور، من خلال تصوراته الشخصية .
- يحترم وجهات نظر الآخرين، في حدود المعقول والمقبول .
- يطرح أفكاره بحيادية، ولا يصادم أفكار من سواه .
- يناقش بإنصاف ونزاهة واعتدال، ويتقبل الآراء، ولا يقف عند حدود الخطأ .
- لا يسعى لمصادرة الأفكار، وتزعُّم أنه الأولى بالاتباع .
- يضع فكره على طائلة القبول والرد، فكما أن له مؤيدين، حتماً سيكون له معارضون .

- غاية أهدافه وأسمى مساعيه، إفادة مجتمعه بوجه عام .
- السمة الظاهرة عليه، التنظير ربما غير الملائم للواقع وللمجتمع .

الخروج عن حد المألوف وتوسيع دائرة الفكر شيء رائع

٢- المفكر المنتمي

- إنسان يفكر بمحدودية بما يخدم توجهاً مقصوداً .
- ينتمي لجهة معينة تفرض عليه، أو تطلب منه نوعاً مخصصاً من التفكير، لتلبية مصالحها المرجوة .
- يحاول توظيف طاقاته الفكرية لما يخدم طبيعة توجهه .
- قد يحيّد الأمور بما يؤيد منهجية ما يريد .
- قد يتحيز لما يراد طرحه، ويروج له .
- يحاول تطوير بيئته، ومجتمعه المحيط به حسب المرجو، ولو كان ذلك على حساب الفكر الحر .
- يحترم وجهات النظر، في حدود الهدف المنشود، المحدد له .
- قد يعارض وبشدة كل من انتقد فكره وطرحه .
- يحكم على الأمور من خلال خط سير انتمائه .

- فكره بين القبول والرد، بقدر تجرده من الانتماء المنحاز .
- قد يصادر الآراء، لأنه يعتبرها تياراً مناهضاً لأفكاره .
- يحاول تحسين صورة أفكاره، والتسويق لها .
- غاية أهدافه وأقصى مراميه، قبول ما نطق به من أفكار، سواء عن اقتناع، أم على استحياء .

كل شرائع الإسلام وتعاليمه تفيض بالوسطية والاعتدال

٣- المفكر الإسلامي المعتدل

- الاعتدال منهج رئيس من مناهج العقل السليم .
- وهو منهج أساس من مناهج هذا الدين القويم .
- الاعتدال في كل شيء، يعني توازناً متوائماً، وهذا مطلوب .
- التفكير المعتدل يظهر محاسن الشيء، ويستر مساوئه .
- التفكير المعتدل مطلب شرعي، لإظهار غاية سماحة هذا الدين، القائم على اليسر والتيسير .
- المفكر المعتدل مطالب بالوسطية في كل أفكاره وأطروحاته .

- المفكر المعتدل يكبح جماع حماسه، حتى لا يجره ذلك إلى القيام بتصرفات لا محسوبة، قد تفسد المنهج الحق .
- الفكر المعتدل يتناول الأمور على الوجه الصحيح، لينتج عنها نتائج مرضية، طيبة مثمرة .
- دين الإسلام قائم على الاعتدال في كل شيء، والانحراف عن ذلك، يعني الفساد لا الإصلاح .
- غاية المفكر المعتدل تقريب وجهات النظر الصحيحة، ليحبب الناس في دين الله تعالى .
- المفكر المعتدل يحاول إيصال صوت الشرع إلى الجميع .

التفكير المنعقل مسلكٌ واعي مثمر

٤- المفكر المتعقل

- ينظر للأمور بتعقل، دون التأثر بالعواطف والمؤثرات .
- يهتم لتحقيق المصالح والمنافع للجميع، دون تمييز .
- يحاول التقريب بين وجهات النظر قدر المستطاع .
- قد يهمل جوانب وجزئيات، لكنه يعمل للصالح العام .
- يعطي الأمور حقها، لذا نظرته بعيدة المدى .

- لا يستعجل النتائج، حتى تؤتي الأمور ثمارها .
- لا يندفع نحو الأحداث بقوة، حتى تتبين له الأمور .
- لا يحجّم الأفكار لتبدو أصغر من حجمها الحقيقي، وفي الوقت نفسه لا يضخمها لتبدو أكبر من حجمها الحقيقي .
- الفكرة عنده ثروة ذات قيمة عالية، قد تستغل في الخير، وقد تستغل في الشر .
- موائمة الأفكار للواقع مطلب رئيس، وإمكانية تطبيقها فعلاً أمر لا بد منه .
- استثمار الأفكار في البناء، للوصول إلى مجتمع واعٍ راقٍ .
- السمة الظاهرة عليه، محاولة تطبيق أطروحاته على أرض الواقع ما أمكن الأمر، وموافقتها لمجتمعه، وموائمتها لأوضاعه .

الربط بين الواقعية والانطلاقة الفكرية توجه حضاري تنموي

٥- المفكر المتطلع

- يفكر في المستقبل أكثر من تفكيره في الماضي والحاضر .
- يتطلع للتطور سريعاً، ويسعى إليه، ربما لدرجة مفارقة الواقع .

- يحاول إيجاد الحلول والبدائل، ولا سيما لما يؤرق مجتمعه من عقبات ومشكلات ومعضلات .
- لغة التجديد والتطوير ظاهرة عليه في جل أفكاره وأطروحاته .
- قد يكثر الاعتراض على حال الناس في مجتمعه، محفزاً لهم على ضرورة التطوير، والحاجة الملحة للتقدم .
- هاجسه تطوير مجتمعه دوماً للأحسن، لذا قد تغلب على عقله العاطفة والحماس والتسرع .
- يستقرئ المستقبل، ويرسم خططاً جديرة بالاحترام، ما دامت موائمة للواقع، وملائمة للمجتمع، وممكنة التحقيق .
- يستبق الأحداث كثيراً، كما لو كان يعيش في زمان سابق لزمانه وهو الحاضر .
- قد تغلب على أفكاره وأطروحاته المثالية الزائدة، وربما مجافاة الواقع بعض الشيء، مما قد يوقعه في صدام مع من حوله .
- السمة الظاهرة عليه تدفق سيال الأفكار، الناطق بالتطوير .

الفصل الثالث :

المجتمعات وصناعة الفكر

أولاً- تأثير الفكر على المجتمعات .

ثانياً- أثر الفكر في رقي المجتمعات وتخلفها .

ثالثاً- صناعة الفكر .

لا يمكن لفكرة خاطئة أن
تخلّد أمجاداً أو تبني صروحاً أو تشيد حضارات

أولاً- تأثير الفكر على المجتمعات :

١- مجتمع منفتح (حرية الكلمة)

٢- مجتمع متحرر (مقلد)

٣- مجتمع متحفظ

٤- مجتمع منغلق (غير منفتح على العالم)

٥- مجتمع مغلق (مصادرة الحريات)

ساحة مفتوحة لا حدود لها مليئة بالسلب والإيجاب

١- المجتمع المنفتح :

بيئة خصبة يستطيع فيها الإنسان أن يتفوه بما يريد من أفكار، في عامة موضوعات الحياة ومشكلاتها، في أجواء حرة تعلو فيها الأصوات وتتعالى، متاحة لكافة أصحاب الأفكار السليمة والسقيمة، الصائبة والخاطئة، كل منهم يدلو بدلوه، ويصدح بأفكاره وبكل أريحية تامة، لا مانع يمنعه من البوح بما يريد أبداً .

ولعل السبب الرئيس الذي أوجد ذلك التسامح الفكري[٤]، في تلك المجتمعات هو أنها لا تعير الدين الاهتمام المطلوب، ولا ترى له تأثيراً ظاهراً في حياة الناس، لا في فكرها وثقافتها المستحدثة، ولا حتى في نظامها ودساتيرها المعمول بها، شعارهم العام : (الدين لله والوطن للجميع)، وهنا قد يحصل البأس، حين يجد كل صاحب فكرة؛ الطريق ممهدة أمامه ليقول ما شاء متى شاء، دون أدنى رقابة أو وصاية عليه ترده إلى جادة الصواب، متى حاد عن الطريق .

---

[٤] الوصف الدقيق لحقيقة الوضع الحاصل في تلك المجتمعات المنفتحة الشرقية والغربية، هو الانفلات الفكري، وليس التسامح الفكري الإيجابي المثمر، لأن للأفكار خطورة لا يستهان بها، متى أطلق لها العنان أضرت بكثير من الأفراد، وكم من مجتمعات فسدت بسبب فكر حر ضال، أتيح له الانتشار والرواج، وظل سنين طويلة يؤثر في الناس حتى تبينوا فساده وضرره .

ففي مجتمع صاخب يعج بالحرية المفرطة، ستجد من يجهر بأفكار إيجابية مثمرة ذات أثر طيب وفاعل، وآخر يصدح بهذيانه الفارغ الذي قد يصل لدرجة الاستهزاء بالدين والتهكم بمقدساته وقيمه ومبادئه .

وسيتأثر المجتمع حتماً بتلك التيارات الفكرية العاصمة والقاصمة، المركزة والمضطربة، الصائبة والخاطئة، التي أريد بها الخير، والتي أريد بها الشر، من كلا الطرفين سواء، من دعاة الفضيلة ومن دعاة الرذيلة، إذ لا حدود هناك لنوعية الأفكار المطروحة .

وفي ظروف كتلك تتبارى الأفكار وتتعادى، لكل منها مؤيد ومعارض، مادح وقادح، بقدر الاقتناع بها وبحسب الميول لأصحابها، مما تسبب في نشوء تنظيمات كثيرة وأحزاب متعددة، لكل منها توجهه ومقاصده المؤثرة بدورها على الساحة الفكرية في المجتمع .

قد يصل الأمر لدرجة انقسام أفراد السلطة بين تلك التنظيمات والأحزاب، فمن وصل إلى السلطة منها يحكم البلاد، في حين يبقى الآخرون ضمن نسيج المجتمع الواحد، قد يعارضون وقد يتهكمون، وقد يدلون بدلوهم في توجيه خط سير أفراد القيادة العامة، تصحيحاً لوجهتهم، من خلال المجالس النيابية والقنوات السياسية المتاحة لهم، ومن خلال دور الصحافة والمراكز الثقافية لديهم، لا غضاضة على أيٍ منهم أبداً .

وفي كل الأحوال الشريحة الأكبر المستهدفة، والأكثر تأثراً بتلك الأوضاع هم معشر الشباب ولا ريب، الذين تجدهم منقسمين بينها، مذبذبين في تبعيتهم لها، وبهذا صار المجتمع ساحة لنزال الأفكار والأطروحات، بكل معاني الكلمة، وسوقاً لترويجها بكل سهولة ويسر، لتبني أو لتهدم، لتؤيد أو تعارض، لا تثريب على ذويها البتة .

والسلطة الحاكمة في تلك المجتمعات لا تتدخل لمنع انتشار أي فكر مهما كان ولا تهتم لذلك، بل تجدها قد أعطت الحرية الكاملة للأفراد والجماعات والأحزاب ليقولوا ما شاؤوا، شريطة عدم تجاوز الخطوط الحمراء التي نص عليها القانون، والمتمثلة في القيام بأعمال عنف وشغب وتخريب، وإثارة العنصرية والطائفية، مما قد يضر بالمجتمع وأفراده ويؤثر على الرأي العام، حينها فقط تتدخل صيانة للمجتمع، وحفاظاً لأفراده، وللساحة الفكرية من انتشار التطرف الفكري الحاد، المؤثر على أمن البلاد وأمانه، هذا هو أقصى ما يقض مضجعها، وما تخشاه على أفرادها هناك .

هذا هو حال تلك المجتمعات المنفتحة فكرياً واجتماعياً، حيث لا حدود فكرية للفرد، ولا ضوابط للكلمة فيها، ولا قيود للسلطة عليها، فلا دين يحرّم، ولا قانون يجرّم[٥].

[٥] كالمجتمعات الشرقية والغربية، ومن حذا حذوهم .

انفتاحية غير محمودة العواقب لا سبيل لضبط سلوكياتها

٢- المجتمع المتحرر :

الذي انفتح على الشرق والغرب، وتحرر من رِبقة الدين، واستبدل بقيمه وتعاليمه، حضارات مزعومة، وثقافات مستهجنة، وفكراً متحرراً، فأضحى بذلك مقلداً لجل أفكار وثقافات تلك المجتمعات المنفتحة، مما أعطى الحرية ليقول من شاء ما شاء، متى شاء وكيفما شاء، دون مراعاة أي ضوابط للكلمة .

وكل ذلك سببه اعتقاد أن الدين وتعاليمه قيود تكبل أصحابها، وأغلال تصفدهم عن الانطلاقة نحو كل حضارة مرتقبة، ورقي مرجو، وازدهار مأمول .

وبالتالي فلا سبيل إلى تحقيق ذلك إلا بالخروج عن طوق الدين وترك الانصياع لتعاليمه، التي ما جرت على المجتمعات سوى التخلف والرجعية، والانقسامات والتناحرات، والتأخر في كل مجالات الحياة، فراجت بذلك أفكار لا حصر لها، لا ترتبط بالدين غالباً، ولا تراعي تعاليمه من أي وجه، بل ربما حاولت البعد عنه أو حتى مخالفته بكل جرأة وصراحة .

وهذا التوجه الخطير ولا ريب تسبب في صدام مباشر بين شريحة أولئك الانفتاحيين بشرائح المجتمع الأخرى، التي منها المتحفظ، ومنها المتشدد، ومنها غير ذلك من توجهات عديدة، كثيراً من أصحابها أعطى لنفسه أحقية التكلم في الدين كيفما شاء، رغم جهله أو عدم تخصصه ومعرفته، أو عن قلة دراية، أو سوء فهم حتى .

كل ذلك فتح مجالاً للأخذ والرد فيما بين أصحاب الفكر، كل منهم يصور الدين كيفما شاء من وجهة نظره، دون الرجوع إلى المنابع الصافية الأصيلة غالباً، وهذا بدوره مما ساعد على تمييع قيم الدين، ولا سيما بين العامة والمتحزبين وأنصاف المثقفين، الأمر الذي ولّد مشكلة الاستخفاف بتعاليم الشرع المطهر وقيمه ومبادئه .

وهذا بالضبط ما جر على أمة الإسلام الويلات والانقسامات، لما صار الدين مجالاً للمزايدات والمطارحات، فعجت الساحة بالتيارات الفكرية المتباينة، سواء التي تنتمي إلى أحزاب وحركات وتنظيمات، أو حتى الفردية الشخصية منها .

زد على ذلك أن كل مجتمع يحوى نسيجاً شعبياً متداخلاً، لا يسلم من دخلاء عليه، سواء كانوا من جملة المستشرقين القادمين إليه، ممن عاش فيه ورأى وسمع، ثم بدأ يبث سمومه وأفكاره وأطروحاته، بحسب تصوراته .

أم من جملة المستغربين ممن كانوا يعيشون في بلدان الغرب ثم عادوا إلى بلدانهم وأوطانهم، وهم يحملون فكراً يرونه نيراً، ويعتقدونه متكاملاً، ومن ثم يحاولون ترويجه في مجتمعاتهم والتسويق له، دون مراعاة للفوارق الجوهرية بين المجتمعات، سواء كان ذلك عن قصد ممن تبنى نشر الفكر الغربي في بلده وموطنه، أم عن غير قصد ممن تعامل به مع الناس كسلوك متحضر، أو كأفكار يبثها في مجتمعه مادحاً تلك المجتمعات، مثنياً على ثقافاتها وأفكارها من وراء ذلك .

كل تلك الأمور جعلت المجتمع المتحرر، مختلطاً مقلداً، اجتمع على أرضه مستشرقون ومستغربون، ودعاة تجديد وانفتاحية بغية إدراك ركب الدول المتقدمة المتحضرة المتطورة، وحقيقة أمرهم انسلاخ من الدين وتعاليمه وقيمه ومبادئه، الذي جاء بشرع قويم يعم البشرية بمنافعه ومصالحه، وإن جهل ذلك كثير من أهل الفكر والتفكير .

هذه هي حقيقة الوضع الحاصل في عامة المجتمعات المسلمة، ولا سيما العربية منها، التي ارتضت بالقانون الوضعي دون شريعة السماء الغراء .

مدنية متوازنة الأفكار
محافظة على أصولها وثوابتها
لا تسمح بولوج الدخيل عليها

٣- المجتمع المتحفظ :

الملتزم بدينه وتعاليمه المستمسك بعقيدته، مما جعل لديه حصانة فكرية يذود بها نفح أفكار الدخلاء، ولا سيما المخربين، الذين يحاولون تمييع القيم الأصيلة، ويدعون للتحرر من تعاليم الدين والبعد عن قيمه، بحجة أنها مظهر من مظاهر التخلف البشري، والانغلاق الفكري .

والتحفظ في المجتمع لا يعني الانغلاق، بل ربما كان هو الرقي بعينه والازدهار بأوصافه، لكن أخذاً بأسباب معتبرة، يراها ذووه ذات قيمة ومكانة وإن كان أهل الانفتاحية لا يرونها كذلك، فموازين القيم ومعايير الثقافات تختلف من مجتمع لآخر .

فالمجتمع الذي يعتز بدينه، وبثقافته الأصيلة، ويسير بخطى ثابتة، لا يعني التخلف، كما أن رفض الدين والبعد عنه لا يعني الانفتاحية على الدنيا، وسلوك سبيل التقدم والتطور .

ولهذا يعد المجتمع المتحفظ أقل المجتمعات اضطراباً فكرياً، وصداماً منهجياً واجتماعياً فيما بين أفراده، وهو الأقل ولا ريب من حيث

الانقسامات الحزبية، والتنظيمات الحركية، متقارب وجهات النظر إلى حد كبير، ولولا أن العالم يعيش عصر تلاقي الحضارات وتواصل الثقافات، الذي أتاحته وسائل التقنية والتكنولوجيا الحديثة، التي غزت بدورها أفكار البشر حتى وصلت إلى حيث مخادع النوم دونما استئذان، لولا ذلك حقيقة لبقي كثير من المجتمعات على حال أسلافها، في ظل طمأنينة، وحال سكينة، مستقرة الأوضاع، لا تشوبها أدنى شائبة .

وأشد الناس خطراً فكرياً على هذه المجتمعات المتحفظة بوجه عام، أحد ثلاثة رجال، إما مستشرق جاس خلال الديار فعرفها وخبر حال أهلها ثم بث سمومه فيها .

وإما مستغرب من فلذات أكبادها، عاد إليها بعد أن تأثر بفكر الغرب، كما لو كان قد غسلت عقليته، وتغيرت مفاهيم التحضر عنده، حتى أضحى من أشد المتهكمين على أولئك المتحفظين .

وإما متدين متشدد في عقيدته، عنيف في ردوده على دخلاء الأفكار أولئك، ممن قد يدفعه حماسه إلى تبني أقوال وأفكار ومواقف ليست من الدين الحق، وهو يراها كذلك .

والدين الحق لا افراط فيه ولا تفريط، لا تشدداً وتساهلاً، وإنما يسر وتيسير، وبشر وتبشير، والدفاع عنه بكل حال لا يعني الإغلاظ على الناس، والتشديد عليهم وإن انحرفوا عن جادة الصواب، جهلاً

بقيمه وتعاليمه، أو حتى تجاوزاً صريحاً منهم، فتعاليم الدين الحق وقيمه في جميع الحالات والأحوال، لا يمكن أن ينتج عنها إلا فكر سليم وسطي متوازن معتدل، فلا غلو مجحف ولا تساهل مفرط .

وبالتالي فالأولى بمن انحرف الرفق به حتى يتبين له الحق من الباطل، والهدى من الضلال، ولا سيما فيما يخص القضايا الفكرية التي قد يشكل على كثير من الناس فهمها .

ويعظم الخطب حين تجد بعض المفكرين، ممن له صوت مسموع وتأثير بالغ ومباشر على الناس قد يُقرب، وكأنه يُعطى الضوء الأخضر لبث ما يراد نشره فكرياً، وترويجه اجتماعياً .

وإذا كان الفكر سلاحاً ذا حدين، فالمفكر كذلك رجل ذو رأسين وينطق بلسانين، إما بالخير وإما بالشر، وهو بذلك إما عوناً لمجتمعه وسلطة بلاده، وإما معيناً عليهما، وإما معيناً لأحدهما على الآخر .

وعموماً هذا هو حال عامة الدول المسلمة، التي ما تزال تهتم لأمر دينها، واتباع منهجه .

قرية يطوف بسمائها
طيف من نوع واحد من الأفكار
غير قابلة للتجديد أو التطور

٤- المجتمع المنغلق :

تتميز بعض المجتمعات بخصوصية ما؛ تعرف بها، كأن يكون اتباعه على دين واحد، أو عرق واحد، أو طائفة واحدة، فلا يرغب أن ينفتح على العالم .

مجتمع كهذا تطوف بسمائه سحابة من نوع واحد، بحسب معتقد أفراده، أو بحسب توجههم العرقي أو الطائفي، فتغلب عليهم أفكار محدودة، ربما تكون غير قابلة للتغير، حتى وإن كانت خاطئة ولا قيمة لها من وجهة نظر الآخرين .

لكنها تبقى في نظرهم خطاً أحمر بكل حال، لأنها تعتبر مقدسات ومعتقدات غير قابلة للتفاوض من أي وجه كان، وهي التي تسيّر المجتمع على نحو ما تريده، ولا تعطي الفرصة لغيره، ليكون مؤثراً من أي وجه مطلقاً .

ومجتمع هذا وضعه تجده مقتنعاً بأفكار وأطروحات مفكريه إلى حد كبير، فتستقر الأوضاع بذلك ويسكن حال الناس فيه، مما جعلهم

يرفضون أي فكرة دخيلة عليهم، فلا يحبذون خوض غمار تجربة أخرى لتلقي بظلالها أفكاراً جديدة، لينظروا في مدى جدواها من جديد .

وعامة هذه المجتمعات يتوافق فيه انسجام السلطة بالأفراد إلى حد كبير، فلا تكاد تسمع من يعارض أو يناهض، أو يخرج عن الإطار العام، فما تفرضه السلطة غالباً ما تتقبله الجماهير بلا أي معارضة، لاقتناعها التام بذلك التوجه المعمول به في البلاد .

لذا نجد أن هذه المجتمعات هي الأفقر من حيث عدد المفكرين ولا سيما المجددين منهم، لأن وضعها لا يساعد على ذلك، فالاستقرار الفكري شبه المفروض عليهم، ولّد مثل تلك الظروف .

وحتى وإن وجد مفكر ما، فتجده لا يفكر إلا كما يفكر سابقوه، ممن يمجد الفكر السائد لمجتمعه ويحاول إظهار محاسنه وإخفاء مساوئه، أو مفكر حر صاحب فكر محترم فعلاً، يعرف الصواب من الخطأ لكنه يحابي السلطة كثيراً على حساب القيم والأخلاق، وربما تسلق على أكتاف الآخرين، وربما مجّد السلطة ليكسب بعض التأييد والحظوة .

ورغم الانغلاق الفكري السائد في هذه المجتمعات يوجد معارضون حتماً لا يسلم مجتمع منهم أبداً، مهما كانت قبضة السلطة، منهم من يعمل سراً في الخفاء كلما سنحت له الفرصة ليحقق مآربه ويصل إلى أغراضه، ومنهم من يناهض السلطة ويواجهها علانية ويكثر صدامه

بها، ومنهم أذكياء يعرفون متى يتكلمون، وبماذا، وكيف، وفق منهج دقيق ومعايير مقبولة، مستفيدين مما أتيح لهم، فلا هم محجمون لدرجة التخوف والتكتم، ولا هم مندفعون بالمرة .

وبوجه عام سيطفو على السطح التيار الفكري السائد الذي فُرض وتم تدعيمه والترويج له، وسيظهر أثره مستقبلاً على عامة أفراد المجتمع بالدرجة الأولى، أما باقي الأحزاب فستنزوي في زوايا المجتمع ويضعف شأنها مع الوقت، ولن يقوى إلا من حاول فهم الواقع ومسايرة الأحداث، وتقديم تنازلات ليتم الرضا عنه، فترجح كفته، على قدر تفهّمه للأمور ومدى قربه من صنّاع القرار، وبحسب المصالح المرجوة .

فيقوى هذا التيار على ذاك مرة، وذاك على هذا مرة، ضمن مشروع موازنة بين التيارات الفكرية بقصد الحد من طغيان تأثيرها على المجتمع، ولئلا تقوى شوكة أيها فيناهض سياسة الدولة العامة، وبغرض الظهور بوجه مشرق أمام عامة المجتمعات الأخرى، وبذلك تكون قد حسنت صورتها ظاهرياً، ليشاع عنها التعامل وفق أسس التسامح الفكري المنشود، وإن كانت في حقيقة أمرها تخالف ذلك تماماً .

وبوجه عام هذا هو الوضع الحاصل فعلاً في كثير من الدول ذات التوجه الواحد، التي تناهض الفكر الحر، وتحارب ذويه في الخفاء بكل وسيلة ممكنة، مشروعة وغير مشروعة .

حصن كبير يحاصر الأفكار
ويحاسب ذويها ويعاقبهم عليها
لا يقبل أية معارضات أو مفاوضات

٥- المجتمع المغلق :

كثير من المجتمعات لا تجد للأفكار مجالاً تسيح فيه، لأن أرباب السلطة ينهجون نهجاً قومياً، يكممون فيه الأفواه من أن يعلو صوتها، فوق صوت السلطة التي رسمته لذلك المجتمع .

فإحكام قبضة السلطة تسيّر المجتمع ضمن مسار واحد لا خيار للأفراد عنه، وكل من عارض أو ناهض فمصيره التخلص منه، حتى لا يفسد عليهم باقي أفراد المجتمع، ويجرئ الشعب للقيام بثورات وحركات وتنظيم أحزاب، تقض مضاجعهم وتهدد مصالحهم .

هذه المجتمعات المغلقة لا تعطي مجالاً لأفكار مناهضة لتروج بين أفرادها، قد أغلقت الباب تماماً أمام أي فكر دخيل، وتلعب السلطة فيه دور الحارس الحديدي لتكون أقدر على توجيه المجتمع كيفما شاءت دون أي تدخلات خارجية، بقصد المحافظة على نسق وحدته، وعدم التأثير عليه، وإن كان توجه السلطة من حيث الأصل غير ناضج ولا سوي، ولا يلبي حاجيات المجتمع وتطلعاته .

والمفكر في مجتمع كهذا مضطر للتكتم على أفكاره، وعدم البوح بها إلا لأعز جلسائه، خوفاً من تناميها إلى أسماع السلطة، لأنها قد تكلفه حياته، وإن كانت أفكاراً وأطروحات جديرة بالنظر، ولها قوة واعتبار واقعاً .

وعلى هذا النحو فلا وجود لتيارات فكرية متضادة، ولا صوت يعلو إلا للفكر السائد، بحسب توجه أرباب السلطة فيه، أو المعتقد الذي يدينون به، أو الطائفية المقيتة، وما عدا ذلك من أفكار جريئة، سواء كانت مناهضة أو معارضة أو مخالفة فأصواتها تبقى ضئيلة خافتة، لا تتجاوز المجالس السرية القاصرة على ذويها، خوفاً من ذيوع صداها للعامة، فيتم القضاء على أصحابها، كما كان يحصل في مجتمعات كثيرة قضت على مفكريها المجددين، فقط لخروجهم عن السياق العام للمجتمع، ومخالفة قياديه .

ومثل هذا الجو العام قد يضطر المفكر للهرب إلى موطن يجد فيه حريته، ومتنفساً له ليطلق أفكاره من هناك، في محاولة لإعادة توجيه مجتمعه، ليحي فيه روح الإصلاح من جديد فيتأثر به كثيرون ويقتنعون بأفكاره، ومن ثم يبدأ الصدام الفكري يأخذ مجراه، داخل ذلك المجتمع وخارجه على ألسنة المناهضين الفارين منه لأن سلطته للأسف وضعت حجاباً حاجزاً يمنع من انتاجية الأفكار على نحو إيجابي هادف .

ثانياً- أثر الفكر في رقي المجتمعات وتخلفها :

١- أسباب رقي المجتمعات

٢- أسباب تخلف المجتمعات

نضج بشري هدفه إقامة المدينة الفاضلة متساوية الحقوق والوجبات

١- رقي المجتمعات :

هناك معايير في المجتمع بها يحكم عليه ما إذا كان يسلك طريق الرقي أم لا . تلك المعايير مؤشرات حقيقية في واقع حياة الناس، يتأثرون بها، ومن ثم يتفاعلون معها، فيصبح الأفراد فيه معاول بناء ورقي وتطور، أو أدوات هدم وتدهور وتأخر .

من أهم تلك المؤشرات وعوامل البناء الإيجابية، إطلاق الحرية للفكر الإيجابي في تطوير نظام الحياة، وفي إيجاد البدائل الفاعلة، وفي تصحيح خط سير حياة الناس، وتقويم سلوكهم، وتهذيب تعاملاتهم، وفي إنتاج أطروحات من شأنها رسم خطط مستقبلية تؤتي ثمارها على أرض الواقع بوجه عام .

هذه هي المجتمعات الواعية، التي تنظر للأفكار على أنها ثروة قيمة تقام عليها المشاريع الوطنية الناجحة، وبالتالي فيجب أن تستثمر حق الاستثمار . ففي كل مجتمع نظام حياة يغلب عليه قد يصاب بالترهّل والثقل، فيحتاج للتجديد، والتطوير لمواكبة العصر، وذلك لا يكون إلا بإعطاء حرية كاملة للأفراد في إنتاج أفكار وأطروحات مجدية، من شأنها تطوير المجتمع .

يزداد الأمر حسناً، ويزدان رونقه بهاءً، حين توظف الدولة ثروتها المالية، وتجعلها في خدمة الطاقة الفكرية الإيجابية، التي تحقق تطلعات الجميع، وبالأخص حين توجد بيئة مناسبة مطلقة الحرية لانتقاء أعضاء إدارة جادة ناجحة مقتدرة، تعمل بكل نزاهة وانضباط .

كل ذلك يعني النجاح بعينه، وبه ومن خلاله تتحقق تنمية المجتمع ضمن عطاء مستمر، بكل معاني الكلمة .

إذن رقي المجتمعات يكون بإعطاء الفرص كاملة لكل فكر إيجابي ناضج يوظف حق التوظيف، يدعمه مال نزيه يوضع في مظانه، وبإدارة ناجحة تسعى للتطوير والرقي فعلاً، في متابعة كل مرافق المجتمع المادية والمعنوية .

هذا من جهة القيادة، أما من جهة الأفراد فحين يعي المرء قيمة الأفكار التطويرية النوعية النافعة، التي من شأنها رفعة الجميع، وحمايتها من أصوات الناقدين السلبيين، الذين يضخمون جوانب النقص، ممن ليس لديهم الاستعداد للنظر إلى الأمور بجدية وإيجابية .

المجتمع بحاجة ليعرف أن الطاقات الفكرية ولا سيما الشبابية مهمة في تحريك بل ودفع عجلة التقدم، لأن دماء الشباب مليئة بالحيوية، والنشاط، والعنفوان، مما يجعل فكرهم متجدداً، ولا سيما أنهم حلقة الوصل بين مفارقات الأجيال .

ولذا ففي كل المجتمعات المتطورة، تجد أن للشباب فيه دور بارز في تطويره والارتقاء به، وبالتالي ليس من المنطق أبداً الاستخفاف بطاقاتهم وقدراتهم، ولا سيما الفكرية التي تتسم بالانطلاق الهادف، والحماس المتقد، والعزيمة والإصرار .

عوامل الرقي تبدأ من بلورة فكر الأشخاص، وتوظيفها على نحو فعّال، وهذا عادة لا يتوفر في مجتمع مليء بمبددات الفكر، التي تجعل الشاب لا قيمة له، ورويداً رويداً يشعر بأن طاقاته الفكرية مهدرة تماماً، وأنه مهمش في مجتمعه، ولا فائدة من تعليمه أو خبراته، لأنها لن تجد البيئة المناسبة لاحتضانها، وبالتالي فلا جدوى من البوح بها كي لا تولد لديه نتائج عكسية .

كما أن من عوامل الرقي، توفير الأيدي النظيفة التي تعمل للبناء، لا للهدم أو التمصلح، الذي يحقق النفعية الفردية أو الفئوية، هؤلاء يجب قصر أيديهم عن أن تمتد حتى لا تعطل الطاقات ومصالح المجتمع ومنافعه العامة .

وإجمالاً ! فيمكن حصر عوامل النهضة وأسباب الارتقاء وإيجازها في ثمانية أمور مهمة، لكل من تلك العوامل دوره الرائد، الذي لا يمكن الاستغناء عنه في عموم الحركة التنموية النهضوية في المجتمع، وهي في حقيقتها منظومة عمل متكامل :

١- فكر إيجابي جاد فاعل . جدير بالاحترام، قابل للتطبيق على أرض الواقع بالفعل، يتماشى مع مقدرات المجتمع، لا مثاليات زائدة فيه، ولا يرهق المجتمع أو يكلفه فوق طاقته .

٢- مال نزيه . عوائده على الجميع، لا تمصلح فيه ولا انتفاع، لفرد أو لفئة تحتكره، وتحركه كيف شاءت .

٣- إدارة ناجحة . في القيام بمهامها على أتم وجه، دون أدنى تأثير عليها، بقصد سوء استغلال سلطتها، أو إخضاعها لما يراد .

٤- أيدي عاملة نظيفة . تعي دورها جيداً، ولديها الاستعداد التام للقيام به، دون أن تعبث بطاقات المجتمع ومقدراته .

٥- بيئة عمل مناسبة . للنهوض بتلك الأفكار الجادة والأطروحات الجديرة، وتطبيقها على أرض الواقع .

٦- سلطة متفهمة . تتيح الفرص المناسبة للأفكار الناضجة الإيجابية، لتساهم في تطوير مجتمعها، وفي الوقت نفسه توصد الباب أمام كل عابث، أو فكر ضال مشتت من شأنه إحداث بلبلة فكرية، تبعث فتناً تضر بأفراد المجتمع .

٧- جدولة المهام وفق مدد زمنية، لتنفيذ الخطط المستقبلية، سواء على المستوى القريب أم البعيد كل بحسبها، وعدم استعجال النتائج، فعنصر الزمن مهم جداً في إنضاج الأفكار وإتمامها على الوجه المطلوب .

٨- مجتمع واعي مثقف . يقدر الأفكار ويجل الأقدار، ويعطي مجالاً للإيجابيات أن تنتشر فيه، ويتقبل مبدأ التغيير إلى الأحسن، ويتفهم دور المفكرين الرائد، ودور السلطة التنموي، في دفع عجلة التقدم .

هذه هي أسباب رقي المجتمع ونهضته وتطوره متى توافرت فيه، فإن نقص أحدها أو أكثر من باب أولى فقد اختل الميزان، وطغى أصحابه وحادوا عن جادة الصواب وحينها سيقع المجتمع في يد فئة قليلة تستغله وتسيّره لما تريد، وتتناقل فيما بينها المصلحة الشخصية والفئوية، ولا تعير المصلحة العامة الاهتمام المطلوب، ولا تهتم لرقي أفراده من عدم ذلك، وحسبها وقتئذ الترفّه والتنعم على حساب العامة، هدراً للطاقات، واستغلالاً للمال العام، وللسلطة، وللمقدرات .

وكم من فكر ناضج رشيد جاد، جدير بالاحترام، ضاع سدى لما صادف أيدٍ خبيثة تستغل وتستغفل ولا تهتم لمجتمعها، أو لما قابل مالاً مشوباً ظاهره خدمة المجتمع وحقيقته خدم مصالح دويه، أو لما واجه إدارة فاشلة لا تعي دورها الفاعل، أو وقع تحت طائلة سلطة مستبدة لا تراعي حقوق الجميع، وكل ذلك يعني بيئة وبيئة تقتل الأفكار وتحرقها تماماً، فتسبب في إهدار ثروة قيمة من ثروات المجتمع، ألا وهي الفكر الإيجابي الواعي الجاد الذي لو وعى كثيرون له وأحسنوا استغلاله على نحو هادف، لنهض بهم من حيث الثرى إلى الثريا .

وعموماً فالعمل بالأفكار الجديرة وقبول الأطروحات المحترمة يحتاج في الحقيقة إلى منظومة عمل متكاملة متى اختل نسقها اختل عطاؤها ونتاجها على كافة الأصعدة، وهذا يعني أن المجتمع بدأ يسير في طريق التخلف والتدهور، ومع الوقت سيصل إلى درجات حرجة، رغم كونه يمتلك كل أسباب الرقي والتقدم، والتطور والازدهار .

وهذا يعني إخفاقات تولد أزمات حقيقية في المجتمع، ستتسبب في تأخير بل وتعطيل رقيه ونهضته، وتطوره وازدهاره .

وكل ذلك نتيجة سوء التقدير وفساد التدبير، واللذان بدورهما سيحولان المجتمع من رائد متحضر إلى هزيل متدهور، يحاول دوماً أن يرقع مكامن الخلل لكن دون جدوى، لأن الأخطاء إن لم تستدرك من أولها قادت إلى سلسلة متتابعة من الأخطاء، يصعب مع الوقت الخروج منها بسهولة نتيجة التراكمات الحاصلة .

فمن مرت عليه سنين وهو يسير في طريق خطأ، وجب علي أن يتحمل مشقة طريق العودة إلى حيث جادة الصواب .

والمجتمعات تختلف في كل تلك الأمور ومتعلقاتها حتماً، وبالتالي ستختلف درجات التخلف فيها بحسبها .

قصور بشري عن فهم دورهم الرائد في الحياة

٢- تخلف المجتمعات :

هناك أسباب كثيرة لتخلف المجتمعات، يأتي في مقدمتها ولا ريب سوء استثمار الأفكار على نحو إيجابي، تعود نتائجه على المجتمع بوجه عام .

فمسألة إهدار الأفكار تعد جريمة في بعض المجتمعات، بل وصل الأمر في بعضها إلى درجة تبني بيع الأفكار فيها وبأغلى الأثمان، فاستشارة قد تكلف أموالاً ربما طائلة، لأن نتاجها سيكون بأضعاف تلك الأثمان، لكن هذا الكلام لا قيمة له إطلاقاً في مجتمعات أخرى لا تعير الإنسان من حيث العموم ذلك الاهتمام المطلوب .

من هنا استهوت كثيراً من المفكرين فكرة الهجرة إلى تلك البلدان، التي تقدر قيمة الفكر الإنساني وتجله .

إذن أول أسباب التدهور والتخلف هو إهدار الطاقات الفكرية، وعدم الالتفات إليها مما يصيب قادة الفكر بالإحباط، إذ لا أحد يعير أفكارهم الجديرة أدنى اهتمام، في سلطة لا ترى سوى ما تريد، والفرد حينها يقبل ما يفرض عليه، لا طاقة له سوى ذلك .

وحال قائم كهذا في مجتمع لا واعي كفاية، سيخسر كثيراً من الطاقات البشرية ونتاجها الفكري، بكل سهولة ويسر .

يزيد الأمر سوءاً لو وجد في مجتمع هذا حاله من يُحترم شخصه ويقدم فكره ويعتبر قوله، ومن ثم يخضع طاقاته لخدمة رؤى معينة، نفعها قاصر على أشخاص أو فئات بعينها لا تتجاوزهم إلى غيرهم، سيضطر حينها لمساومات، وربما يتم إشراكه في محاصصة مبرمة، ليكون شريكاً مفكراً وغيره شريكاً منفذاً، فيكون حينها قد وظف طاقاته الفكرية في نفع محصور على ثلة، لا يلحق المجتمع منه شيء في الأغلب إلا نزر قليل جداً، لا يعدل شيئاً يذكر للأسف .

زد على ذلك لو تم توظيف تلك الطاقات الفكرية، لتكون عاملة وفق منهج معين، فلا تخرج عن حد الإطار المرسوم لها، استغلالاً واستغفالاً للمجتمع وأفراده، وبالتالي اجتمع على المجتمع ثلاثة أمور كلها مرير :

الأول- حبس الفكر ليظل طي الكتمان، فلا فائدة من البوح به، لأن أحداً لن يلتفت إليه .

الثاني- التفكير في الهجرة كحل بديل، عن القعود في مجتمع يحرق الأفكار، ويعطل الطاقات، ولا يرى الأشخاص إلا مجرد تابع، لا يحق له أن يتفوه بكلمة خارج السياق السلطوي العام .

الثالث- تجيير نتاج الفكر لمصالح شخصية وفئوية، وحرمان عامة أفراد المجتمع بوجه عام من عوائده وخيراته .

والأسوأ من ذلك حين تجد السلطة تلعب بالمفكرين، لينشغلوا فيما بينهم عن أمور الحكم والقيادة، فتضربهم ببعضهم وتعمل على توسيع هوة الخلاف في وجهات النظر فيما بينهم، وربما ناصرت تياراً فكرياً على آخر، وربما سعت للتوفيق بينهما فيما تريد أن تشيعه، وربما سعت في التفريق بينهما فيما تريد أن تفرضه، أو ربما وظفت الطاقات الفكرية على نحو ما؛ لا للانتفاع بها ومنها، وإنما بقصد تشويش عقول الناس وإحداث تضارب في التوجهات الحزبية والتيارات الفكرية التي تعج بها الساحة السياسية[٦].

وبالأخص متى كان في المجتمع حزبيات وحركات مختلفة، بعضها مع التيار السلطوي، وآخر مسالم، وثالث مهادن، ورابع معارض، وخامس مناهض، وهكذا .

ناهيك عن توظيف السلطة أحياناً كثيرة من لا يحسن العمل ولا دراية لديه، ليقوم على إدارة شؤون الناس، وكم من طاقات أهدرت نتيجة إدارات فاشلة بددت شيئاً كثيراً، بسوء تصرفها في الأمور .

---

[٦] كما هو حاصل في المجتمعات الشرقية والغربية والحزبية .

والسبب في ذلك لأن توظيفهم لم يكن بمواصفات منهجية مهنية، وإنما نتيجة محسوبيات، ومصالح، ومحاصصات[٧].

لذا نجد في كثير من المجتمعات من يحتل المنصبين والثلاثة والأربعة والخمسة والأكثر من ذلك، رغم أنه لم يفلح في إدارة منصبه الأول على أقل تقدير .

فالإدارة فن ومهارة، وتمكّن وجدارة، لا يجيدها كل أحد، والأصل أن يختار لها الأجدر الأصلح الأنفع، وليس الأرفع شأناً ممن يتم اختياره على أساس ذلك .

فربما كان الأدنى درجة أجدر بها، والأقدر على تحمل أعبائها، ومع ذلك لا يقع عليه الاختيار، أو ربما لأن يديه طاهرتان ولا استعداد لديه لاستيعاب نظام المحاصصة وفهمه، فيستبعد حينها لنزاهته، وهذا يحصل كثيراً .

والأمر الأسوأ من كل ذلك أيضاً حين تستغل العقول المفكرة في انتاجية ما يسمى بالفكر المضاد، فكلما تكلم مفكر قدير بفكر جدير، وجد من يعارضه على الساحة الفكرية، ممن هو في الظاهر من عامة أفراد المجتمع، وفي حقيقة أمره من عناصر الأمن السري أو أفراد الاستخبارات أو ما سوى ذلك .

---

[٧] كما هو حال المجتمعات التي تعج بالأحزاب والحركات السياسية .

وبهذه الطريقة المحكمة تكمم الأفواه وتشرق بكلماتها، وتذوب الأفكار، وتضمحل القدرات، والنتيجة تخلف محكم قادته أيدٍ لم تكن تعلم يوماً أنها هي التي ولدته وأوجدته من عدم، نتيجة الاستبداد الذي لم ينتج عنه يوماً ما، أدنى فائدة تعود على السلطة أو الأفراد أو المجتمع بوجه عام سوى تخلف، واستغلال، وانقسامات، شقي بها كل الأطراف ولم يسلم منهم أحد .

لو علمت السلطات أن محاربة التخلف لا يمكن من حيث البدء أن يكون إلا بفكر سليم، يشاع في المجتمع لم تتخذ مثل تلك التصرفات التي ما جلبت عليهم سوى الشقاء والشتات والضياع، ولو أنهم فكروا بطريقة صحيحة لأفلحوا .

فمن بنى السجون وأقام المشانق وشيد المعتقلات وصرف عليها الأموال الطائلة في إطعام من فيها على الأقل، لو فكر بهدوء لبنى مكانها مدارس ومعاهد وجامعات ترتقي بالفكر .

لو فكرت السلطات في إيجاد آليات عمل تجعل المفكر يبوح بفكره بكل صراحة، ومن ثم تسعى لاحتوائه، والنظر فيه للاستفادة منه قدر المستطاع، لكان خيراً لها من أن يبقى الفكر حبيساً قد يؤدي إلى القيام بتنظيمات سرية وراءها ما وراءها من فساد عظيم .

ففي المجتمعات المتقدمة لما رفضت فكر الاستبداد جملة وتفصيلاً، الذي عانت منه كثيراً، انطلقت نحو التقدم بالفعل، فحمدت كل فكر جدير واحترمت صاحبه، ورفضت كل فكر ضليل واحتقرت صاحبه، لا تهتم للأشخاص بقدر اهتمامها بالأفكار .

فأوروبا التي رزحت تحت حكم الكنيسة قروناً عديدة، لما كممت الأفواه ونصبت المشانق، لم تجن سوى التخلف والضياع، حتى سميت تلك الفترة بعصور الظلام، وسميت العصور التي تلتها بعصور الثورة الصناعية التي جلبت لهم التقدم والتطور، والرقي والازدهار .

وعموماً، لو نظرنا لأسباب التخلف وعوامل التقهقر في المجتمعات من حيث الإجمال، لوجدناها تؤول إلى تسعة أسباب، هي :

١- فكر مبدد، غير مركز، لا إيجابية فيه من أي وجه كان، أو كان فكراً جديراً أسيء استغلاله وتوظيفه لأغراض غير نزيهة .

٢- أموال مهدرة، تصرف في الكبت والتكميم، أكبر مما تصرف في الاستفادة من الطاقات البشرية والفكرية في المجتمع، قلّ ما توظَف في شيء يستحق الإشادة، يعود على المجتمع بخير .

٣- سلطة مستبدة، تحتكر كل شيء حتى نتاج العقول من أفكار جادة وأطروحات جديرة، تضرب بيد من حديد كل من اقترب من مصالحها التي تخدمهما .

٤- إدارات فاشلة، لا تعرف من أمرها شيئاً، أو أنها موضوعة للقيام بعمل ما؛ فوضت به لا تتجاوزه إلى غيره .

٥- أيدي نجسة، لا تعرف للطهر طريقاً، ولا تراعي للمجتمع حرمة، ولا تحافظ على مقدراته وطاقاته، همها مصالحها وحسب .

٦- مال خبيث، تدار به البلاد ويعبث به العابثون، من سلطويين ومستغلين، وتجار ظلام، يقومون بتحريكه ونهب أموال الناس بالباطل، بطرق ظاهرها المتاجرات وباطنها قرصنة واستغفال وغسيل أموال .

٧- بيئة عمل فاسدة، في ظاهرها السعي على مصالح المجتمع، وفي باطنها التمصلح والانتفاع على أعلى مستوى .

٨- إهمال عامل الزمن في تنفيذ الخطط، وسوء اختيار الأوقات المناسبة للشروع في أية عملية تطوير، فكم من فكرة ناجحة بالفعل أفشلها سوء اختيار الوقت المناسب لتنفيذها .

٩- مجتمع غافل، ومغفل ومستغفل، من كل وجه استحكمت عليه الغفلة، فكم من صاحب فكر رشيد ذموه، وكم من صاحب فكر وضيع رفعوه، لأسباب كثيرة فكرية وحزبية ومنهجية واجتماعية وما إلى ذلك من سلبيات .

إذن مجتمع أحدقت به أحد هذه الأسباب أو أكثر، سينحدر مع الوقت إلى حيث التضعضع والانحطاط ولا ريب .

وهذه مشكلة تحيط بعالم الإنسان لا يسلم منها البشر مع جريان عجلة الزمن، لأن مسألة الاختلاف الفكري والتباين العقلي لا مهرب منها، وهي واقعة لا محالة بين كل اثنين .

وإجمالاً ! فتخلف المجتمعات أو انحطاطها يبدأ من نقطة واحدة، كان يمكن احتواؤها ومعالجتها لو استدرك الأمر .

لكن متى استخف بها الإنسان وأهملها، فستنتهي بكوارث تعم الجميع، لا يسلم منها أحد غالباً، نتيجة الاستهتار .

ولذا فمتى غفلت الإنسانية عن دورها التكافلي، في العيش ضمن منهج يحدد لها وظائفها في دنياها، فسوف يأتي عليها يوم لن يترك فيه أحد، ولن يكون بمنأى من الهلاك أبداً .

مما يحتم على عقلاء البشرية التعاون فيما بينهم لاحتواء الأمور قبل أن تتفاقم، ويصل الأمر إلى حد لا يمكن تداركه .

وهذا يعني أن مسؤولية البشر مسؤولية مشتركة في كثير من الأمور، التي لا يمكنهم أن يستغنوا عن بعضهم فيها، ومتى تخلف قوم وتركهم الآخرون على ذلك، فسيأتي يوم يعمهم البلاء جميعاً، ويحيط بهم الهلاك من كل حدب وصوب .

لذا جاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب**

بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعاً)[البخاري] . فلا نجاة حينها لأحد من كلا الفريقين، حكمة ربانية بالغة، وتلك سنة الله تعالى في خلقه، ولن تجد لسنة الله عز وجل تبديلاً، ولن تجد لسنة الله سبحانه تحويلاً .

كما جاء في محكم التنزيل قوله جلت عظمته : ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾[البقرة] .

قال أهل التفسير : (إن الحق يأتي هنا بقضية كونية في الوجود، وهي أن الحق يدفع الناس بالناس، وأنه لولا وجود قوة أمام قوة لفسد العالم؛ فلو سيطرت قوة واحدة في الكون لفسد، فالذي يعمر الكون هو أن توجد فيه قوى متكافئة؛ قوة تقابلها قوة أخرى، ولذلك نجد العالم دائما محروساً بالقوتين العظميين، ولو كانت قوة واحدة لعم الضلال، ولو تأملنا التاريخ منذ القدم لوجدنا هذه الثنائية في القوى تحفظ الاستقرار في العالم)[٨].

[٨] تفسير الشعراوي . ج٢، ص١٠٥٨ .

وبالتالي فأسباب التخلف تنتشر في المجتمع الواحد في بادئ الأمر، ومن ثم تتفشى مع الوقت وتستطير وتتجاوزه إلى غيره من المجتمعات، وعلى هذا النحو تشيع في الأمم الفواحش والمنكرات، وتروج كل صور الفسق والفساد، وهذا ما أعانت عليه وسائل التقنية والتكنولوجيا الحديثة بالضبط، حين ساهمت في جعل العالم مجرد قرية صغيرة، تنتقل فيه الأفكار والثقافات عبر الأثير بأبسط ما يمكن، وبالتالي أصبحت أبعد الأفكار منشأً، قريبة من الإنسان تطوف برأسه حين كان .

ثالثاً- صناعة الفكر :

١- الدور المباشر (دور السلطة)

٢- الدور غير المباشر (الحركة الثقافية)

٣- معايير الفكر الناضج

صمام أمان يحقق طموح مجتمعه أو حزام ناري يسلب الحقوق ويعيق الخطط التنموية

أولاً – دور السلطة :

هل تهتم الحكومات فعلاً لمسألة صناعة الفكر ! يختلف ذلك من مجتمع لآخر، بحسب ثقافته ومدى رقيه وتطوره وازدهاره .

ففي المجتمعات المتقدمة تهتم القيادة في الدولة، لإيجاد آلية معينة تخلق بها جواً مناسباً، تصنع من خلاله فكر الناس .

فبدءاً من أساليب التعليم، وانتهاءً بدور وسائل الإعلام، مروراً بالحركة الثقافية في البلاد، كل تلك محطات تبلور فكر الناس، ولا سيما النشء، لتسيّرهم وفق توجه معين، له أهدافه المرسومة، وطريقة عمل ممنهج، يوافق سياسة الدولة بوجه عام .

والفرق بين المجتمعات هو أن بعض الدول تصنع فكراً لتستفيد منه مستقبلاً، من خلال رسم خطط تطويرية، تحقق للمجتمع تنمية عاجلة وآجلة .

ومجتمعات أخرى تفكر بسقف أعلى من ذلك، همها صناعة مفكرين لتستفيد من طاقاتهم الفكرية، وليس فكراً وحسب، عبر إعداد برامج تطويرية وتهيئة أجواء مناسبة، للرقي بالعقول لتكون منتجة .

ومجتمعات ثالثة همها صناعة فكر مسيّس إلى حد كبير، بغرض جعل توجه الناس كتوجه الدولة لا يحيدون عنه، ومجتمعات رابعة لا تهتم لذلك الأمر من أي وجه كان .

وهذه الصناعة الفكرية لها أسباب كثيرة ومتعددة ومتباينة، وبحسب التوجهات والأهداف تكون المخرجات والنتائج، وبقدر دور القيادة في ذلك تكون سيطرتها الفكرية على شعبها .

وتختلف مسألة صناعة الفكر من مجتمع لآخر بحسب نوع السلطة فيها، فالسلطة المستبدة تفرض فكراً من نوع ما لتصل إلى ما تريد، كما لو كانت تجند الشعب وتقصره قصراً على مفاهيم معدة، وبهذا يكون المجتمع مغلقاً أو منغلقاً على من فيه .

في حين أن السلطة المفرطة في الحريات تعطي حرية فكرية لا رقابة عليها تماماً، ولعل بيئة كهذه تصل الأفكار فيه إلى حيث النضج والتكامل، نتيجة إتاحة الفرص كاملة أمام الجميع، وما ينتج عن ذلك من تلاقح الأفكار، ونتيجة تشجيع أصحاب الأفكار الجديرة، ومن ثم تمكينهم من تطبيق حصيلة أفكارهم على أرض الواقع .

أما السلطة المتفهمة فتعطي حريات فكرية ضمن خطوط حمراء لا يتجاوزها أحد، كحدود الدين والشرع القويم وضوابط القيم الأصيلة، غير أن مشكلة مثل هذه المجتمعات غالباً ما تأتي من أحد شخصين .

إما متشدد وهذا مشكلته في سوء فهم الدين على الوجه الصحيح مما يدعوه إلى رفض كل فكر مستحدث، بحجة أنه يضاد الدين، الذي يغني عن كل فكر سواه، وإن كان إيجابياً .

وإما متحفظ وهذا مشكلته في اعتقاد أن كل فكر مستحدث في حقيقته من آثار الفكر الغربي والحضارة المستهجنة، التي يجب رفضها جملة وتفصيلاً .

وكلاهما على خطأ جسيم ولا ريب، لأن الدين القويم لا يلغي الفكر المنير، الذي تتحقق منه ثمرات طيبة، وآثار نافعة، وأيضاً لا يمكن أن يصادم فكراً إيجابياً حتى ولو كان مأخوذاً عن الشرق أو الغرب .

وبالتالي فالدين الحنيف بكل حال يدعم كل فكر تطويري تنموي يحقق للمجتمع ثمرات طيبة، تنفع الناس ولا تضرهم، لا دخل لمن قال به ولو كان عدواً، ولا عبرة لحقيقة توجهه ولو كان مغرضاً، ما دام الفكر آتى ثماره على أرض الواقع، وانتفع به الناس ولم يتضرروا به .

وبالتالي فلكل سلطة طريقتها في صناعة الفكر، ومنهج في تحقيق ما تريد، بما يضمن لها أهدافها ومراميها ومقاصدها .

روائع فكرية تحترم الثوابت القيمية ترفع شأن المجتمع أو هزالات عقلية وركام فكري يهوي بالمجتمع إلى حيث الحضيض

ثانياً – دور الحركة الثقافية :

في كل مجتمع حركة ثقافية، تؤثر على الحركة الفكرية فيه من قريب أو من بعيد، لأن الفكر في مجمله من مخرجات الثقافة .

وثقافات المجتمعات من حيث العموم تتكون نتيجة تمازج تعاليم الدين وشرائعه ومبادئه، بالعادات والتقاليد والقيم الأصيلة المنتشرة في المجتمع، بالإضافة للأعراف الدارجة، والأنظمة والقوانين المعمول بها، زد على ذلك الأفكار المستهجنة التي وردت إليه من مجتمعات الشرق والغرب، ويدخل على الخط ودون شك دور التربية والتعليم في صناعة الجو الفكري للمجتمع .

كل هذه العوامل تتداخل فيما بينها وتتقاطع لتكوّن الفكر العام، بعضها يكون تأثيره قوياً وبعضها تأثيره ضعيفاً، وبقدر قوتها وضعفها، يوصف المجتمع، ويصبغ بصبغة فكرية تميزه عن غيره .

وبالتالي تطفو على السطح طريقة تفكير معينة، تطغى سماتها على المجتمع، كما لو كان ذلك الفكر مفروضاً عليه، وهو في الحقيقة وليد

الوضع الراهن في البلاد، وبهذا يصنع الفكر في المجتمعات، كثقافات عامة تشارك عدة أمور في صياغتها من حيث العموم، بوجهين مباشر وغير مباشر، فتعاليم الدين تخرج فكراً دينياً متفاوتاً الدرجة بين فكر معتدل، وآخر متشدد، وثالث منسلخ .

وقيم العادات والتقاليد توجد فكراً متفاوتاً أيضاً، بين متحفظ باقٍ على تراثه، ومنفتح قابل للتجديد .

كذلك الأعراف في كل مجتمع، ومدى التمسك بها، بين منغلق على عرفه، ومتطور لا يجد غضاضة للتغيير .

ويأتي دور الأنظمة والقوانين لتصنع الفرق، فبقدر دور السلطة وإرادتها في المجتمع، وبحسب نظامها وسياستها وملاءمة قوانينها للواقع تماشياً مع مقتضى الحال، وبقدر قوة حضور أحد تلك العوامل على غيره في المجتمع، يصاغ الفكر بوجه عام .

علامات على جانبي الطريق يسترشد بها ونقود المجتمع إلى حيث الرقي والتطور والنماء

ثالثاً- معايير الفكر الناضج :

من المفترض أن تكون الفكرة ثروة إنسانية، تحقق قيمة للمجتمع، لكنها أحياناً كثيرة قد تكون عبئاً مرهقاً عليه، إذن ليست كل فكرة جديرة بالقبول والاحترام، قابلة للتطبيق .

والإنسان بذاته ثروة عظيمة يجب المحافظة عليها، وتطوير العقول لتنوع عطاءاتها، هي مهمة العنصر البشري الأولى في الحقيقة، لاستبقاء النوع من الانقراض، ولمواكبة الزمن ومستجداته .

إذن ليست كل فكرة إيجابية مقبولة ويمكن تطبيقها مباشرة، بل يجب توافر عدة أمور فيها، لتكون ذات قيمة ولها ثمرات يانعة، وآثار طيبة، وهي :

١- كونها أفكاراً جادة، وجديرة بالقبول، ليست مجرد أطروحات منمقة تتكلم عن مثاليات من الصعب قبولها وتحقيقها، وبالتالي فلا تنسجم مع المجتمع، وإن كانت منسجمة مع مجتمعات أخرى ولها آثار طيبة فيها، لكنها رغم ذلك لا تتناسب مع مجتمعاتنا .

٢- قابلية الفكرة للتطبيق على أرض الواقع، وموافقتها لمعاير المجتمع ومبادئه، وإلا فما الفائدة من أفكار لا يمكن ترجمتها واقعاً، تبقى مجرد شكليات، وأطروحات ورقية تزين بها الرفوف .

٣- تغطية الفكرة لكل أفراد المجتمع، أو على الأقل شموليتها لأكبر قدر ممكن منهم، تحقيقاً لمصالحهم، وتطلعاتهم المستقبلية، بحيث لا تكون فكرة عوراء، تلبي مصالح قوم على حساب آخرين، وهذا حال كثير من الأفكار التي تطرح للأسف .

٤- مراعاتها للوضع المالي للدولة، لا كلفة زائدة فيها، ولا ينتج عنها إرهاق متتابع، وكم من فكرة ممتازة لكنها مكلفة بما يفوق طاقات المجتمع، فأمثال هذه الأفكار وجودها مثل عدمها حقيقة، لتخطيها حاجز الإمكانيات المتاحة .

٥- جودة الفكرة تجعل لها أثراً سريعاً، يعود على المجتمع بخير عاجل، على الأقل على المدى القريب أو المتوسط، أما الأفكار التي تعتمد على خطط بعيدة المدى، فلا جدوى حقيقية منها في عالم الإصلاح، لكن يمكن اختزالها للوقت المناسب لتطبيقها .

وهذه نقطة جوهرية حقيقة، فكم من إخفاقات يلج منها الفساد، لأن مسألة الإصلاح لو طال عليها الأمد عن الحد المعقول فسيتخللها فساد آخر مع طول المدة .

وبهذا فلا جدوى واقعية من مثل تلك الأفكار، لبعدها عن سرعة الفاعلية المطلوبة، في مثل تلك الحالات .

٦- تحري الوقت المناسب لتطبيق الفكرة، لأنها إن تقدمت أو تأخرت فلن تعطي النتائج المطلوبة وقد تخفق، فعامل الزمن مهم جداً، وحسن اختياره مطلب أساس، لتؤتي الأفكار ثمراتها اليانعات .

وإجمالاً ! فأية فكرة خلت من إحدى هذه المعايير، ستقل حتماً قيمتها ومدى فاعليتها في المجتمع، كما سينكمش إسهامها في رقيه وازدهاره، ودفع عجلة تنميته وتطويره .

وبالتالي فالمهم في الأمر والمقياس الدقيق فيه، ليس بكثرة انتاجية الأفكار، وإنما بقدر :

١- قيمتها الفعلية، ومدى فاعليتها في المجتمع .

٢- ملامستها للواقع، وتطلعات المستقبل .

٣- ملاءمتها للمجتمع، وانسجامها مع أفراده .

٤- شموليتها، وتوافق كلفتها مع الإمكانيات المتاحة .

فإن خرجت عن ذلك، كأن تقل الكفاءة، أو تزيد الكلفة، فهذا يعني رفض الفكرة، لأن سلبياتها أكثر من إيجابياتها في عالم الواقع .

سِر في طريق النور لتصل إلى بر الأمان ولا تسر في طريق الظلام ثم تحاول أن تضيأه بشمعه

المحصلة :

وإجمالاً ! تجلى لنا ولا ريب الفرق الكبير بين جانبي الإنسان : (المظلم والمضيء) .

فما أجمل أن ينظر الإنسان بإيجابية، مستغلاً طاقاته وقدراته، ولا سيما الفكرية منها، فيما يعود عليه بنفع ومصلحة .

ما أجمل أن يفكر بطريقة تفاؤلية، فيعي دوره الرائد في الحياة، على الوجه المطلوب .

ما أجمل أن يطمئن قلبه، وتستكين نفسه، ويرتاح باله، وتستقيم جوارحه ويهذب سلوكه، فتصفو حياته بوجه عام .

ما أجمل أن يتدبر كل ما يحيط به مما هو خلف المنظور، ويتأمل في جنبات هذا الكون الفسيح، ويفكر لماذا وجد، وما حقيقة وجوده في هذه الدنيا، ويتبصر في الأمور من حوله .

ما أجمل أن يقيم العلاقات المثمرة ذات الأثر الطيب مع من حوله، لتتكامل بذلك دورة الحياة الإيجابية بين البشر، على وجه تقوم به مصالح الجميع .

ما أجمل أن يؤمن قبله بالخالق العظيم، الذي شرع له كل خير، وأمره بكل فضيلة، وأتاح له كافة المصالح والمنافع، ومنع عنه كل شر، ونهاه عن أدنى رذيلة، وحجزه عن عموم المفاسد والمضار .

ما أجمل أن يتفهم أن العقل له حدود، فمن أعمله في حدوده أوصله إلى حيث الرشد وبحبوحة الاقتناع بالحقائق المدركة، فترتاح نفسه عن البحث المحض، الذي سيقوده إلى دركات التيه، ولن يصل به إلى حقيقة مطلقة .

فالعقل له طاقة؛ لا قدرة له على تجاوزها، وليس كل ما في الكون مدرك، والواقع يثبت ذلك، والطاقة العقلية مخلوقة، وكل مخلوق خاضع لإرادة من خلقه، فلن يدركه أبداً، لكنه يستطيع معرفته بآثاره الظاهرة وقواه الفاعلة .

كذلك القلب يشعر بالحقائق، ويرتاح لها، ويحس أنها من داخل نفسه، فلا يستطيع رفضها أو تكذيبها، أو غض الطرف عنها .

كل هذه الأمور مضيئة ولا ريب، لكن ما أسوأ أن يتغافل الإنسان عن كل ذلك .

ما أسوأ أن يتعامى عن براهين الهدى ودلائل الرشد، فلا يعمل عقله على الوجه الصحيح، ولا يستثمر طاقاته الفكرية كما ينبغي، ولا يعطي قلبه فرصة التأمل، ونظرة التدبر لما حوله، ولا يحاول أن يعي

دوره في الحياة على الوجه الصحيح، ولا يتفطن لحقائق الأمور، ولا ينصت لصدى الأصوات التي تنبعث من داخله .

ما أسوأ أن يعيش الإنسان حياة الضال المضل، يتعامى عن منهج الحق، ويذهب ليبحث طيلة حياته عن محض خيال لا حقيقة له إلا في تصوره، فكيف يتجاهل الحاضر المشاهد، ويبحث عن غائب لا وجود له، لِم لَم يستغل طاقاته الفكرية في الوجوه الحقيقية الصحيحة .

لماذا أرهق نفسه بالنظر في دوامة محتملات لن يستطيع الخروج من دائرتها، لماذا أوقع نفسه في حيرة، وحجزها في حيز هواجس وأفكار لن توصله إلى بر الأمان مهما فعل .

لماذا ستر عينيه عن شعاع البصيرة ورفضه وأنكره، وراح يتأمل وهو مغمض العينين تصورات لا يؤيدها شيء في عالم الحقيقة .

أمور كثيرة لو تفكر فيها بهدوء لقادته إلى حيث الحقائق المطلقة، ولكفته مؤونة البحث عن أمور ظاهرة تماماً، وواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار .

فكل القواطع العقلية أيدها الواقع، وأثبتتها الأحداث، بخلاف تلك الرؤى المتحملة التي رفضها الواقع، ولم تحقق الانسجام معه من أي وجه كان، لِم لَم يتنبه لذلك، مادام قد أعمل عقله في البحث، محاولاً الوصول به إلى حيث الحقائق .

لماذا ! لأنه حاول تفسير الحياة كما يعتقد ويتصور، ولم يحاول تفسيرها وفهمهما كما يريد خالقها وخالقه .

لماذا ! يحاول أن يكون محور العالم كله، فيصم أذنيه عن أصوات الحقيقة في دنياه، ويرفض كل فكرة لم يقتنع بها .

يجب أن يعلم أن إدراك حقائق الحياة يحتاج لأمرين اثنين مهمين، لو غفل عن أحدها ضل الطريق .

الأول . الإنصات لصوت العقل، والتدبر والتأمل والتبصر في حقائق الأمور، وبهذا تكون معرفة الله تعالى سبحانه .

الثاني . التصديق بما جاء به كافة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام عن رب العالمين جل شأنه، من شرائع وتعاليم دينية، ليقيم بها البشر حياتهم على منهج السماء، وبهذا تكون معرفة كيفية عبادته جلت عظمته . والحمد لله رب العالمين .

تم بحمد الله سبحانه وتعالى
هذا الكتاب
فله الحمد والمنة والثناء الحسن

جدول ملخص الكتاب

مجال التفكير	الجانب المظلم	الجانب المضيء
في اليقينيات	ملحد / مشرك	مؤمن مصدق
في الأخلاق	سيء خلق	حسن الخلق
في الأفكار	متردد . تائه	واعٍ . مدرك
في المجتمع	مخرب . هدّام	مصلح . بنّاء
أساليب التفكير	أنماط سلبية	أنماط إيجابية
أنماط المفكرين	منحرف / متطرف	متزن متعقل
أنواع المجتمعات	منفتح/متحرر/مغلق/منغلق	متحفظ
رقي المجتمعات	الإخفاق والفشل	السعي للنجاح
نوع السلطة	مستبدة / مفرطة	متفهمة
صناعة الفكر	لا تهتم لنصاعة الفكر	تصنع فكراً ومفكرين

الفهرس

المقدمة ٣
حقيقة الإنسان ٥
الجوانب المظلمة ٦
الجوانب المضيئة ٧
طبقات الناس ٨
منهج السماء ٩
أسباب رفض الدين ١١
انقسام الناس ١٤
أزمة اليقين ١٥

الفصل الأول : الجانب المظلم

١ – مفاهيم التفكير السلبي ١٩
٢ – أساليب التفكير السلبي ٢٠
٣ – أثر التفكير السلبي في اليقينيات : (الإلحاد، الشرك) : ٢١
أولاً – الإلحاد : ٢٢
١– مفهومه ٢٣
٢– درجاته وأنواعه ٢٥
٣– أكبر شبهه ودواعيه ٢٨

٤- مراحله وأكبر نظرياته ٣٢
٥- الإلحاد في الميزان العقلي ٣٥
٦- الرد على الملحدين وعلى فكرة الإلحاد ٤٠
ثانياً – الشرك : ٤٢
١- مفهومه ٤٣
٢- أنواعه ٤٤
٣- أكبر شبهه ودواعيه ٤٥
٤- مراحل الشرك وأكبر العبادات الشركية ٤٧
٦- الشرك في الميزان العقلي ٤٨
٧- الرد على المشركين وعلى فكرة الشرك ٥١
٤ - أنماط المفكرين بالطريقة السلبية : ٥٣
١- المفكر العابث ٥٤
٢- المفكر المغرض ٥٥
٣- المفكر المأجور ٥٦
٤- المفكر المتذبذب ٥٧
٥- المفكر المتشدد ٥٨
٦- المفكر المنسلخ من دينه (المتحلل) ٥٩
٧- المفكر المنفتح : (علماني، ليبرالي) ٦١

٨- المفكر بعقلية الغرب : (استشراق، استغراب) ٦٤
٩- المفكر غريب الأطوار ٦٧

الفصل الثاني : الجانب المضيء

١ - مفاهيم التفكير الإيجابي ٦٩
٢ - أساليب التفكير الإيجابي ٧٠
٣ - أثر التفكير الإيجابي في اليقينيات : (الإيمان) ٧٢
١- مفهومه ٧٣
٢- درجاته وأنواعه ٧٥
٣- دواعيه ٧٦
٤- منهجية الإيمان ٧٨
٥- حيثيات الإيمان ٧٩
٦- أكبر الشبه حول حقيقته ٨١
٧- قوادح الإيمان ٨٤
٤ - أنماط المفكرين بالطريقة الإيجابية : ٨٦
١- المفكر الحر ٨٧
٢- المفكر المنتمي ٨٨
٣- المفكر الإسلامي المعتدل ٨٩
٤- المفكر المتعقل ٩٠

٥- المفكر المتطلع ٩١

الفصل الثالث : صناعة الفكر في واقع المجتمعات

أولاً- تأثير الفكر على المجتمعات : ٩٤

١- المجتمع المنفتح ٩٥

٢- المجتمع المتحرر ٩٨

٣- المجتمع المتحفظ ١٠١

٤- المجتمع المنغلق ١٠٤

٥- المجتمع المغلق ١٠٧

ثانياً- أثر الفكر في رقي المجتمعات وتخلفها : ١٠٩

١- أسباب رقي المجتمعات ١١٠

٢- أسباب تخلف المجتمعات ١١٦

ثالثاً- صناعة الفكر ١٢٦

١- الدور المباشر : دور السلطة ١٢٧

٢- الدور غير المباشر : الحركة الثقافية ١٣٠

٣- معايير الفكر الناضج ١٣٢

المحصلة ١٣٥

جدول ملخص الكتاب ١٣٩

الفهرس ١٤٠

إلى اللقاء الجميل المضئ المشرق